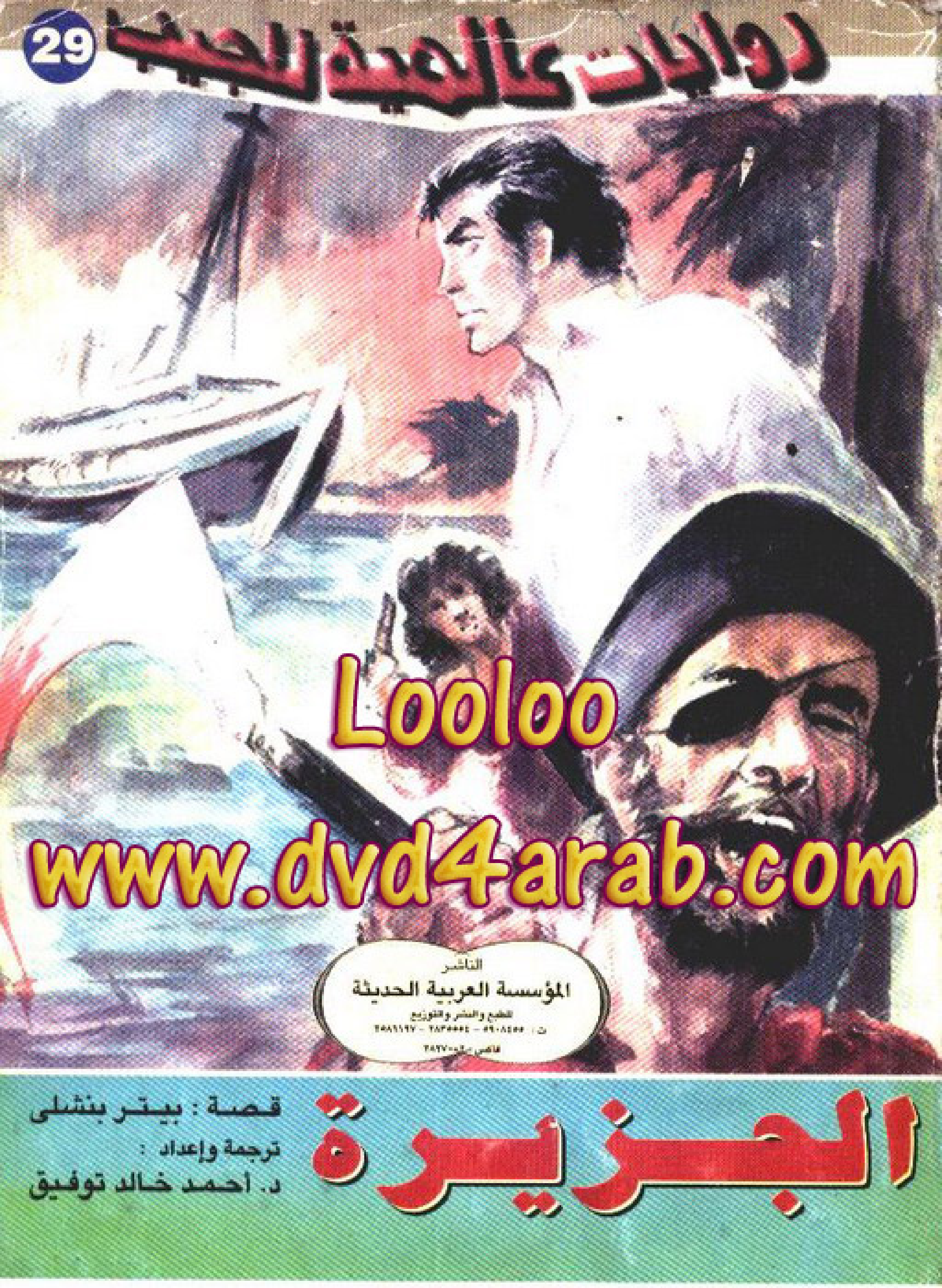

29
روايات عالمية للجيب
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
الجزيرة
قصة : بيتر بنشلى
ترجمة وإعداد :
د. احمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف



للمرة الثالثة نلتقى مع المؤلف الأمريكى (بيتر بنشلى) ..

لا بد أن من يملكون موهبة تذكُّر الأسماء ، والذين يتابعون هذه السلسلة قد خمنوا أننا ذاهبون - بالضرورة - إلى البحر ..

لقد أخذنا (بنشلى) إلى البحر مرتين من قبل ؛ مرة لنواجه سمكة القرش الأبيض العظيم ، عديمة الحياء فى (الفك المفترس) ، ومرة لنغطس فى أعماق البحر بحثًا عن كنز من أمبولات (المورفين) فى (الأعماق) ..

هذه المرة نجد أنفسنا سجناء فى جزيرة

رهيبة ، لا يعرف عنها الناس سوى أقل القليل ، ومع (البوكانير) الذين هم جنس منقرض لقراصنة (الكاريبى) .

ولد (بيتر بنشلى) فى (نيويورك) عام ١٩٤٠ .. وهو ابن لكاتب قصصى شهير هو (ناتانييل بنشلى) ، وحفيد أديب أمريكى ساخر عظيم هو (روبرت بنشلى) .

عمل صحفيًا لفترة لا بأس بها فى جريدة (واشنجتون بوست) ، وكتب خطبًا عديدة للرئيس الأمريكى (جونسون) ..

ثم - من سماء صافية - خرج إلى العالم بقصته الشهيرة (فكان) - الفك المفترس - التى باعت ملايين النسخ دون مبالغة ، وتحولت إلى فيلم أكثر شهرة ..

بعد هذا قدم لنا (الأعماق) و(الجزيرة) و(الفتاة من بحر كورتيز) و(والوحش) .. وكلها شديدة الإمتاع تحمل دراية هائلة بعالم البحر ..

لا غرابة فى هذا .. فـ (بنشلى) وزوجته يعيشان فى (بنينجتون) بـ (نيوجيرسى) ، وكلاهما غطاس

محترف بارع ، وقد سافرا مرارًا إلى (برمودا) حيث تدور أحداث هذه القصة ..

كتب (بنشلى) القصة عام ١٩٨٠ ـ وكما هى العادة ـ قدمتها السينما الأمريكية فى فيلم جيد قام ببطولته (مايكل كين) ..

إذن شمّروا أطراف سراويلكم لأن البلل قادم فى الصفحات التالية !

د. أحمد خالد

* * *

واحــد ..

وقف القارب راسخًا كأنما هو مربوط بمرساته إلى سطح الماء ، ولم يكن من المعتاد على هذا البعد من الشاطئ ألا تكون هناك أمواج عالية وعواصف ..

لكن لمدة أسبوع كامل ظلّت السماء ما بين (برمودا) و (هايتى) خالية من السحب العادية ، وبدا الماء كأنه معدن مصقول فى ضوء الشمس الساطع ..

كانت هناك جزيرة عند الشرق عند حافة العالم .. أما فى الغرب فلا شىء سوى موجات حرارية تتراقص ..

وعلى ظهر القارب وقف رجلان يصطادان السمك بخيوط من النايلون ، وقد ارتدى كل منهما (الشورت) و (تى - شيرت) متسخًا وقبعة من قش ..

ومن حين لآخر يملأ أحدهما دلوًا من الماء ويسكبه على السطح الخشبى كى يخفف من حرارة الجو ..

خلفهما كانت هناك مائدة خشبية ملأى برءوس أسماك (البلشارد) .. وكان كل رجل منهما يتحسس الخيط بيده ليعرف ما إذا كانت هناك أسماك تحتهما ..

ـ « إن المدّ يجرى بسرعة .. »

ـ « فعلاً .. يحاول أخذ الطعم بعيدًا عن يدى .. »

وبدأت رائحة الطهى تفوح ممتزجة برائحة السمك الذى جففته الشمس ..

ـ « بمَ ينوى الوغد البرتغالى أن يسممنا اليوم ؟ »

ـ « بسمك (أنف الخنزير)(*) طبعًا .. واضح هذا من الرائحة .. »

وتحت القارب راحت إحدى الأسماك تقضم الطعم ، ثم ابتعدت .. اصطدم الرجل بالمقدمة فتراجع بجسده كى لا يطير إلى الماء ، ومدّ يده اليسرى ليجذب الحبل أكثر .. وباليمنى جذب ياردة أخرى ..

ـ « اللعنة ! قوتها هائلة ! »

ـ « ربما هى سمكة قرش .. »

ـ « سمكة قرش؟ يا سلام ! إنه (مونى ديك) ذاته !»

(*) Hog Snout

وضغط على أسنانه رافضًا أن يترك الحبل ينزلق بين أنامله ، وفجأةً ارتخى الحبل ..

ـ « لقد جذبت الخطاف من فمها .. »

وبحذر كي لا يتعقد الحبل رفعه ، وكوّمه عند قدميه .. لقد ولّت الأثقال والخطاف ..

ـ « لا بد أنها عضت الحبل فقطعته .. لا بد أنه كان قرشًا لعينًا .. »

ثبّت ثقلاً جديدًا وخطافًا جديدًا ، وتناول سمكتين من الـ (بلشارد) .. التهم واحدةً نيئةً وثبت الأخرى في الخطاف ..

ـ « متى يجيئون يا (ديكي) ؟ »

ـ « القبطان يقول إنهم آتون غدًا في الحادية عشرةً وشيء ما .. »

ـ « ما نوع هؤلاء الأطباء .. »

ـ « (نلسون) .. قلت لك مئات المرات إنهم جراحو أعصاب .. »

ضحك (نلسون) وغمغم :

ـ « أطباء رأس يا رجل .. هذا هو اسمهم .. ماذا يفعل أطباء الرأس حين يصطادون السمك ؟ »

ـ « لا يوجد قانون يمنع جراح الأعصاب من الصيد .. ثم إن القبطان يقول إنهم يدفعون مقدمًا .. »

ثم إن (ديكى) صرخ مناديًا :

ـ « (مانويل) ! »

ـ « نعم يا سيدى .. »

كان الصبى البرتغالى قد جاء على الفور .. كان نحيلاً فى الثانية عشرة من عمره ، لوّحت الشمس بشرته ، وقد غمر العرق شعره وصدر قميصه ..

ـ « أيها البرتغالى الأحمق ! قلت لك ألا ترتدى الثياب الرسمية حين لا يكون هناك ضيوف .. »

نظر الصبى لقدميه ، وقال :

ـ « ليس عندى سروال آخر .. »

ـ « لا يهمنى لو أمضيت الليل فى الغسيل ، لكنى أريدك نظيفًا كملاك حينما يجىء ضيوفنا صباحًا .. »

ثم سأله :

ـ « كم عدد هؤلاء الضيوف ؟ »

ـ « ثمانية .. القبطان قال هذا .. »

تشمم الهواء فى شك ، ثم سأله :

ـ « ماذا تطبخ يا ولد ؟ »

ـ « سمك (أنف الخنزير) يا سيدى .. »

* * *

فرغ (مانويل) من صف الأطباق والآنية ، ولم يجد ما يفعله بعدها ..

كان يحبَ أن يذهب للصالون ، حيث يفتح المكيف ويسترخى على الأريكة أمام التلفزيون ، لكن هذا كان حقًا مقصورًا على الضيوف المترفين الذين يدفعون ..

على كل حال لم يكن هناك أى إرسال يلتقطه التلفزيون ..

حقًا كانت هناك كتب ، لكن إنجليزيته لم تكن تسمح له سوى بقراءة المكتوب على أدوات البحارة وعلب الطعام ..

كان يتمنى اللحاق بالبحارين على سطح السفينة ، لكنهما منهمكان فى المزاح البذىء .. ولو رأياه لجعلاه هدفًا طازجًا لهما ، وهو لا يحب هذا ..

قام بغسل ثيابه وكيها ، ثم شعر بالسأم ..

صعد إلى سطح السفينة ، وكانت الشمس قد انحدرت تمامًا إلى الغرب والقمر بدأ يظهر ..

قال له (ديكى) حين رآه :

- « لو لم يكن لديك ما تعمله يا ولد فلتملأ مخزن الخمور .. »

- « حسن يا سيدى .. »

ونزل الصبىّ إلى القاع ، فاتجه إلى مكان أجهزة الراديو .. وكان أكثر ما يمكن التقاطه فى هذا الوقت من اليوم هو محادثات صيادى السمك الكوبيين ، ودوريات البحرية الأمريكية فى (ميامى) ..

حرّك المؤشر إلى AM ليسمع الصوت المميز لذلك الواعظ من (إنديانا) الذى يدعو الصيادين للإيمان ، وهى المحطة الوحيدة الواضحة ..

وسرعان ما جاء صوت المبشر عبر السماعة :

- « الآن أصدقائى البحارة .. أدعوكم للحاق بنا فى (جنة الراحة) .. لو أنكم فتحتم قلوبكم له لوقف (يسوع) جوارِكم على دفة السفينة .. »

بحث (مانويل) عن غطاء .. وراح يعدّ ..

هناك ثمانية ركاب نصفهم رجال .. الرحلة سبعة أيام .. ست وثلاثون زجاجة كافية جدًا لأن النساء لن يشربن كالرجال .. زجاجتان ونصف يوميًا لكل شخص ..

كان يشعر بالسقم .. ستكون رحلة كئيبة ، خاصة حين يشرب الضيوف كثيرًا .. عندها لن يروا أى شىء جيدًا .. لا الراحة ولا الجو ولا الأسماك ولا عددها .. وسيمقتون بعضهم بشدة ..

سيدخر السكارى أعنف فظاظة لديهم لـ (مانويل) الصغير معدوم الحيلة ..

بعد الغروب بدأ السمك يأكل ..

قال (نلسون) فى انبهار :

ـ « لا أفهم كيف .. ليس لديهم ضوء تحت ؛ ومع ذلك يعرفون أن هذا وقت العشاء .. »

ـ « إن لديهم ساعة داخلية توجههم .. »

ومن الصالون سمعوا صوت المبشر ما زال يتكلم..

هنا رأيا شيئًا يتحرك نحو القارب يحمله الموج ..

كان هذا على بعد عشرين ياردة من مقدمة القارب ..

ـ « (ديكى) .. ما هذا ؟ »

ـ « كأنه لوح خشب .. »

ـ « لوح خشب متين حقًا .. ولسوف يصطدم بنا .. »

ـ « سرعته ليست كافية لإيذائنا .. »

ـ « بل سيخدش الطلاء على الأقل .. »

واصطدم الشىء بالقارب ، وتوقف للحظة .. ثم تحرّك بكسل نحو الجانب ..

وسمع (مانويل) صدمة مكتومة .. فتجمّد حيث هو ، ثم تحرّك ليصعد لأعلى ليرى ما هنالك ..

قال (ديكى) :

ـ « إنه قارب خشبى .. هات الخطاف الكبير .. »

مدّ (نلسون) يده والتقط خطافًا كبيرًا طوله أربع ياردات ، ثم طوّحه نحو القارب وهو يمسك بمسند السفينة.. تشبث الخطاف بالقارب الصغير على الفور ..

خطا (ديكى) على إفريز ضيق بجانب السفينة ، فيما راح (نلسون) يجذب الحبل أكثر حتى صار فى متناول (ديكى) ..

ـ « ثمة شىء ما فيه .. »

ـ « نعم .. شىء يشبه نسيج (الكانافاه) .. »

وبطرف قدمه اليسرى حيث وقف على الإفريز راح يعابث أطراف (الكانافاه) ليفتحها .. هنا رأى كفا مفتوحة لأعلى ـ كأنما تتسول ـ وهى يد بشرية !

تراجعَ للوراء وتشبث أكثر .. وصاح :

- « اللعنـةَ ! »

ظلَّ الرجـلان صامتَين بلا كـلام لوهلةً ، ثم تَساءل (نلسون) :

- « هل يوجد المزيد منه ؟ »

- « لا أُريد أن أعرف .. »

- « ربما كان حيًا ؟ »

- « ومـاذا يفعلـه ما دام حيًـا ؟ ألا تشـم رائحـة الوغـد ؟ »

- « لا بد أن نعرف .. »

مدَّ (ديكى) قدمه من جديد ، وهو يردِّد :

- « هلم يا بنى .. كن طيبًا وميتًا .. »

واستطاع أن يرى معصمًا يحيطـه سوار أخضـر معدنى ..

مال بجسده أكثر ليمدَّ ذراعه اليسرى فى القـارب ، هنـا دبَّت الحياة فى اليد فجـأةً .. أظفـار كالمخـالب انغرست فى معصم (ديكى) .. وبقوة جذبتـه مـن على ظهر السفينةَ ..

سـقط على القـارب الخشبى الصـغير ، وهنـا طار

شىء رمادى فى الهواء محدثًا هسيسًا ليضربه تحت الترقوة اليسرى .. وكدمية عبث بها طفل شقى تأرجح رأسه الذى لم يعد يمسكه سوى الجلد ، وخرج الهواء من قصبته الهوائية مع فقاقيع الدم ..

وسمع (نلسون) ارتطامين : ارتطام الجسد .. ثم ارتطام الرأس بالماء ..

وفوق سطح السفينة صعد الرجل قبل أن يستطيع (نلسون) تحرير الخطاف .. حاول هذا بجنون لكن الخطاف كان متشبثًا ..

لم ير الرجل يدنو منه .. ولم ير الفأس ذا النصل الهلالى - كالمنجل - والدم يقطر منه .. وانغرس الفأس فى .. فى الخشب بجوار رأسه ..

اندفع (نلسون) يركض بعيدًا .. آه لو استطاع أن يثب إلى الماء ليركب القارب الخشبى .. ويفرَ .. لأين ؟ بعيدًا وكفى ..

لكنه لم ير كومة من صناديق الشراب حتى اصطدمت ساقاه بها .. حاول التوقف .. انزلق فوق أحشاء السمك وهوى أرضًا ..



لكنه لم يركومة من صناديق الشراب حتى اصطدمت ساقاه بها . .

وفى محاولة أخيرة ـ بلا معنى ـ للدفاع عن النفس ، غطى وجهه بكفيه ..

* * *

وحين خرج (مانويل) إلى مربع الضوء على السطح ، رأى ظلَّ رجل ..

ـ « معى آخر الزجاجات يا مستر (ديكى) .. »

وكان صوت الواعظ فى المذياع يودّع مستمعيه :

ـ « والآن يا إخوتى البحارة .. قد حان وقت طىّ قلوعنا هنا فى جنة الراحة .. »

كان أول ما لاحظه (مانويل) هو الرائحة .. رائحة عفنة ثقيلة لم يشمها من قبل سوى من شاة التهمتها الكلاب وتركتها تتعفن ..

هنا رأى يدًا تأخذ الزجاجة منه ..

رأى قطرة دم تسقط على البساط أمامه .. ورأى يدًا ترفع فى وجهه سلاحًا لم ير مثله قط ..

إبهام يجذب الزناد .. ضربة عنيفة تخترق جسد (مانويل) ..

وفى لحظة سمع صوت (كليك) و (بسست) ..

ثم سقط للـوراء ، واصطـدم رأسه بالدفـة .. سمع زجاجًا يتهشم .. وشمّ رائحة الكحول والكبريت ..

أمعاؤه تتقلص ورأسه يؤلمه ..

وما زال صوت الواعظ يدوى من المذياع ..

* * *

اثنــان ..

كعادتـه تـأخر (بلير مينـارد) عن العمـل .. كـان المفتروض أن يكون فى المكتب فى العاشرة ، لكنه تأخر حتى الثانية والنصف صباحًا فى الكتابـة ، مما جعله يصحو متأخرًا ..

كـان يكسب ٧٥٠ دولارًا عن كل ألف كلمـة فى المقال .. والمقال الذى كان يعمل فيه ليلاً يدور حول اكتشاف درجات سلم تعود لعصر ما قبل (كولومبوس) .. لا أحد يعرف كنـه هذه الأحجار .. وهذا شائق فى حد ذاته ..

كان يجد سلواه في العمل ، فقد رحلت زوجته وابنه منـذ شـهر آخذيـن معهمـا أكـثر الأثــاث والسـتائر والسجاجيد ، وقد غدت شقته زنزانـة خاويـة .. وفى الفترة التى تلت هذا الحدث قضى أقل من اثنتى عشرة ليلة فى شقته ..

كان يـتردد على المقاهى ، ويتعرف فتيات يحكى لهـن كيف أن شـقته صـارت مكانا غيـر محتمـل ..

عبر (ماديسون أفينيو) .. ونظر لأعلى ليرى عقارب ساعة جريدة (نيوزويك) تشير عقاربها إلى الحادية عشرة ..

استقل المصعد إلى الطابق الثامن عشر .. وكان مكتبه واحدًا من دستة من المكاتب الصغيرة تطل على (ماديسون أفينيو) .. به منضدتان وآلتان كاتبتان .. لقد ظل يعمل هنا عشر سنوات ، لكنه لم يصل قط إلى أن يكتب اسمه على الباب ..

اللافتة على الباب تقول (تسلية) .. كانت قبل ذلك (رياضة) ثم صارت (علوم) ..

لم يكن يبالى بشىء فى هذه الغرفة سوى بالباحثة التى تعاونه ، واسمها (دينا جينز) .. فى منتصف العقد الثالث ، بارعة الجمال بمقاييس أى جيل ، نظيفة دومًا بشكل لا يمكن تصوره ، متواضعة وذكية ومغرمة به بطريقة أخوية نقية ..

ـ « صباح الخير يا (دينا) .. »

ـ « هل أنت على ما يرام ؟ »

ـ « ولماذا لا أكون ؟ »

ـ « لا سبب.. أقلق عندما تتأخر إلى هذا الحد ..»

قال وهو يجلس :

ـ « لا تقلقى .. إن أفظع شىء يحدث لى هو عندما يصيبنى كابوس وأسقط من فوق السرير .. »

راح يتفقد أوراقه حين وجد قصاصة تقول :

« مفقودة .. »

« سفينة صيد باهظة الثمن تم اعتبارها مفقودة فى جزيرة (نافيداد) بالـ (كاريبى) .. والسفينة تدعى (ماريتا) ، وقد تم تسجيلها فى (جراند بهاما) ، وكان المفتروض أن تقلّ مجموعة سياحية يوم الثلاثاء ، وحسب إحصائيات خفر السواحل قد اختفت ٦١٠ سفينة فى (الكاريبى) و(ساحل الذهب) و (بهاما) فى الأعوام الثلاثة السابقة ، مع فقدان ما يقرب من ألفى حياة .. »

قرأ (مينارد) الموضوع مرتين .. كيف تختفى ٦١٠ سفينة ؟

طوى القصاصة واتجه إلى مكتب سكرتير التحرير، وكان هذا يتجادل فى الهاتف مع شخص ما ..

قالت السكرتيرة وقد رأت إحجامه :

ـ « يمكنك أن تدخل .. إنه غاضب لأنهم نسفوا له

غلاف (وودى آلين) من أجل حرب أهلية فى جنوب (إفريقيا) .. »

كان سكرتير التحرير يزأر فى الهاتف :

ـ « لا دعابة هناك .. الرجل فنان جاد ويستحق .. أما جنوب (إفريقيا) فهو يهدد بالانفجار منذ عشرين سنة فمن يبالى بهذا ؟ »

كان هذا الموقف معتادًا ومكررًا .. دائمًا يتم نسف الغلاف بعد عمل ساعات طويلة لأن أزمة دولية ما نشبت ..

كان (هيلر) قد صار سكرتير تحرير ؛ وهى مهنة لا يمكن التقدم بعدها .. أن تكون رئيسًا لآخرين رفضوا كلهم الوظيفة ذاتها من قبل .. لأن سكرتير التحرير مثقل بالمسئوليات ، لكنه لا يملك إلا أقل السلطات .. ويتلقى عند الفشل اللوم كله ، وعند النجاح قليلاً جدًا من المديح ..

فما إن وضع (هيلر) السماعة ، حتى ناوله (مينارد) القصاصة التى رسم فيها علامة بالـ (ماركر) على موضوع القوارب المفقودة ..

نظر (هيلر) إلى الورقة ، وغمغم :

ـ « إذن ؟ »

ـ « إذن ؟ ستمائة قارب مفقود .. أين ذهبت بحق الجحيم ؟ »

ـ « ربما غرقت .. إن العالم ملىء بالحمقى الذين يشترون القوارب ، وهم يجهلون الملاحة .. لقد اشترى أخى الأحمق يختا كبيرا لن يفعل سوى أن يحوله إلى حطام .. »

ـ « ألف شخص قد فقدوا .. »

ـ « هناك خمسون ألفا يموتون فى حوادث الطريق كل عام .. »

ـ « ربما .. لكن شيئا ما يحدث هنا ، ولسوف يكون مقالا مثيرا .. أين تختفى هذه القوارب ؟ ما مدى خطورة الإبحار فى الجزر ؟ »

ـ « إن القوارب مملة ولا تروج للمحلات .. قصة كهذه ستكلفنا كثيرا جدا ، وفى النهاية ستجد تفسيرا واهيا لكل هذا الشىء اللعين .. »

ـ « مثل ماذا ؟ »

ـ « مثل ؟ لا أدرى .. »

شعر (مينارد) أن الرجل بدأ يضعف فقرر أن يضغط أكثر :

- « سأتأكد مما إذا كانت (تايم) قد تناولت هذا الموضوع .. »

- « اسأل حرس السواحل .. ومكتب (أطلنطا) .. »

وعاد (مينارد) إلى مكتبه شاعرًا بأن (هيلر) سيلين عاجلا ..

اتصل بمكتب زوجته فسمع السكرتيرة تقول :

- « هنا مكتب (إيفون سميث) .. »

- « مرحبًا (نانسى) .. أنا (بلير مينارد) .. »

- « مستر (مينارد) ؟ كيف حالك ؟ »

كان هذا سؤالها التقليدى .. ودائمًا ما يشعر فيه بشفقة خفية كأنها تقول له :

- « كيف تستطيع الحياة دون هذه المرأة الرائعة؟! كيف تتحمل؟! ألا تشعر بخجل لأنها تركتك ورحلت؟ »

الحقيقة هى أن (إيفون) لم تتركه سوى بشكل جغرافى .. لقد مرّ على انفصالهما ثلاثة وتسعون يومًا وهو ما يجعله طلاقًا حقيقيًا الآن ..

بعد أعوام طويلة من الزواج أدركا أنهما يسلكان دروبًا مختلفة فى الحياة ، وكانت (إيفون) هى أول من لاحظ ذلك ؛ ووافقها على الفور ..

كانت تشق طريقها بنجاح فى عملها ، وتستمتع به ؛ أما هو فكان يحرز نجاحًا لا بأس به فى عمل لا شىء ، ولا يعرف حقًا ما يريد عمله ..

لم يكن من هواة الشهرة .. وآمن بنبوءة (آندى وارهول) أنه فى العام (٢٠٠٠) ستكون لدى كل أمريكى فرصة للشهرة ربع ساعة(*) !

أحب التاريخ بشدة ربما لأنه كان يمقت الحاضر .. أحب عصور الاستكشافات الكبرى حين كان الناس يفعلون ما يريدون، ويزورون أماكن لم يرها سواهم..

لكن أحلامه كانت هى كوابيس (إيفون) .. وفى النهاية انفصلا مقابل مبلغ خمسمائة دولار فى الشهر يدفعه لها لتربية الطفل .. ثم ......

كانت السكرتيرة تقول :

- « إن (إيفون) غير موجودة الآن .. لكنها تسأل عما إذا كان بوسعك أخذ (جوستين) لبضعة أيام .. إنها ذاهبة إلى (دالاس) كى ...... »

(*) (آندى وارهول) فنان أمريكى اشتهر بلوحاته الغريبة التى يستوحيها من إعلانات الصحف .. اعتبره البعض عبقريًا واعتبره البعض نصابًا ..

ـ « رائع ! منذ متى ؟ »

ـ « غداً .. لمدة أسبوع تريد منك أن تحضر لتأخذه من المدرسة ! »

ووضع السماعة راضياً ، وواصل تفقد ما معه من قصاصات ..

قصاصة من خفر السواحل تحذر ربابنة اليخوت من الإبحار فى خليج (المكسيك) وفى (الكاريبى) ..

تناول القصاصة، وعاد إلى غرفة (هيلر) ليقول له:

ـ « اسمع .. لقد اختفى ستمائة قارب وربما أكثر الآن لأن الخبر منذ عام .. إن خفر السواحل يؤمن باختفاء دستة من هذه القوارب عن طريق الخطف .. تصور أن (ماما) و (بابا) اشتريا قارباً .. يمكنهما التنزه فى (الكاريبى) لكنهما لا يستطيعان العودة إلى (فلوريدا) ، من ثم يستأجران دليلاً كى يقودهما عبر الخليج .. بعد يومين يقتل الدليل (ماما) و (بابا) ويلقى بجثتيهما فى البحر ، ويقود القارب .. يمكنه عندها بيع القارب بفاتورة مزيفة .. أو يأخذه جنوباً ليستخدمه فى تهريب المخدرات من (كولومبيا) .. وهذا القارب الأمريكى النظيف مكتمل الأوراق لن يفكر أحد فى تفتيشه ..»

قال (هيلر) :

ـ « أنا أمقت المخدرات .. إنها موضوع ممل صحفيًا .. »

ـ « ليس المخدرات فحسب .. إن الأمر أكبر من هذا .. لقد حطم هذا الشىء سلام البحار ، ولن يُعين أحد قاربًا فى ورطة بعد اليوم لأنه يخاف وجود كمين .. لقد غرق قارب به طفلان أمام ثلاث سفن لأن الكل خشى أن يكون هناك فخ ما .. كان ذلك فى (يوليو) الماضى ..

« كل ما أريده هو أن تسمح لى باستقصاء الموضوع .. »

صنع (هيلر) خيمة تحت ذقنه بأنامله ، ومن أسنانه راح يصدر صوتًا .. وفكّر (مينارد) :

ـ « إنه يحاول أن يبدو كالمحامى العظيم (كلارنس دارو) .. »

هنا عاد (هيلر) إلى المحادثة ، وقال :

ـ « أصغ إلىّ .. على كل شخص أن يتصالح مع نفسه فى لحظة ما .. ويقول لنفسه : هذا هو ما أجيده وما أصلح له .. سأكون رئيسًا لـ (الولايات

المتحدة) ، أو سأفوز بجائزة (بولتزر) للأدب .. أو أى شىء آخر .. »

قال (مينارد) :

ـ « أنا ما زلت أبحث عن هذا الـ (أى شىء) .. »

ـ « لقد وجدته .. لكنك لا تقبل به .. أنت مخبر صحفى هذا هو ما تجيده وكل ما تجيده .. ربما تصير نجمًا بعد عشر سنوات ، لكن الآن .. الآن عليك أن تحب ما أنت فيه .. لا تتماد وإلا ستفسد كل شىء .. »

قال (مينارد) وهو يخرج من الباب :

ـ « إذن علىّ قبول حقيقة كونى خاسرًا .. ربما أكون خاسرًا .. لكنى سأحدث دويًا عاليًا .. »

* * *

ثلاثة ..

كانوا يبحرون معًا طلبًا للأمان وللصحبة ..

كانوا أعضاء فى شركة محاسبة فى (نيوجرسى) أحدهم خبير ضرائب والآخر محاسب ، تدربا معًا وعملا لمدة ربع قرن فى الغرفة ذاتها ..

كانت أسرتا (لازلو) و (بيرجس) قد اعتادتا الإبحار فى كل صيف منذ عام ١٩٦٥ ، وأمضى أفرادها أسابيع عديدة ينتقون طريقًا ويتعلمون خدمات الموانئ .. حيث تجد الثلج والماء والوقود وحمامات ومطاعم محترمة .. وكانت رحلة هذا العام هى أهم رحلة قاموا بها عبر الـ (بهاما) ..

وعلى سبيل الاحتياط كان كل قارب يحمل مسدسًا عيار ١٢ر٠ مم .. وعددًا من الطلقات نحو الخمسين، وكثيرًا ما قابلهم شباب أمريكيون يسألونهم أن يصحبوهم على القارب إلى الجنوب مقابل أى عمل ؛ لكن (بيرجس) كان يعرف تعليمات خفر السواحل عن ظهر قلب ..

ارتحلوا شرقًا متجهين إلى جزيرة يبحثون عن مكان يرسون فيه ..

لم تكن على الخرائط كلها وهذا شيء معتاد ، فرسم الخرائط سيئ جدًا بالنسبة لهذا الجزء من العالم .. تجد الماء العميق بين الجزر التي يفترض أنها متصلة ، والصخور المغمورة يتضح أنها جزر كبيرة ..

كل شيء كان يسير حسب القاعدة : ما تراه هو ما تحصل عليه ، لهذا لم يبحروا ليلاً قط ، ولم يثقوا سوى بأعينهم ..

رست مركبة (بيرجس) فوقف يتأمل الشاطئ :

كانت جزيرة طولها نصف ميل .. بها نباتات ليفية تم قص فروعها المتدلية .. فلا بد أن أحدهم استخدمها كحبل ..

من الواضح أنه لا أحد يعيش بها الآن ..

قال (بيرجس) لصديقه :

ـ « لا تنس طارد البعوض .. فلسوف تفتك بنا أسرابه الليلة .. »

واستطاع أن يرى مرفأ صغيرًا اتساعه مائة ياردة وعمقه مائتان ..

فقال لزميله :

ـ « لا بد أنهم كانوا يحملون قواربهم هاهنا .. »

قادوا القوارب لأقرب نقطة ممكنة ، ورسوا ..

وكما توقع الرجلان .. هجم البعوض الانتحارى على الأسرتين ، ومعه العلقات السوداء التى لا تراها العين لكن لدغتها تحدث التهابًا مريعًا ..

بدءوا يرشون السطح بمبيد الحشرات بعد ما ارتدى (لازلو) عويناته الشمسية .. فثمة شىء فى هذه المبيدات يسبب تعتيم العدسات اللاصقة ثم يذيبها تمامًا بعد أسابيع ..

وانهمكت الزوجتان فى إشعال النار من الفحم ..

راحوا يرمقون الماء ويلتهمون طعامهم .. كان الماء حيًا مفعمًا بالأسماك ..

غسل (لازلو) طبقه بالماء بعد ما فرغ من العشاء ، فقال :

ـ « والآن يجب أن ننام .. فمن يريد القيام بأول مراقبة ؟ »

قال (بيرجس) :

ـ « سأفعل .. أنا لست مرهقًا .. ولتقم (إلين)

بالثانية .. سيعطيك هذا أربع ساعات من النوم .. »

سألته زوجته :

ـ « هل لا بد من حراسة ؟ »

ـ « لقد وافقنا على القواعد .. والحراسة أساسًا لمراقبة اتجاه الريح أو الحيوانات الجارحة .. »

إنها السابعة والنصف .. تبدأ الليلة الآن ..

راحت الشمس تنحدر نحو الأفق ، ونظرت (إلين) إلى ساعتها ، ثم نزلت إلى قاع القارب .. كان (لازلو) قد ادخر كثيرًا من الكتب ذات الغلاف الرخيص ليقرأها فى الإجازة ، وكان يشعر بلذة حقيقية حين يمل كتابًا بعد ثلاثين صفحة فيطوح به إلى الماء ..

ـ « تلوث أدبى ! »

هكذا يقول دائمًا ..

جلس (لازلو) على السطح وأضاء كشافًا ليقرأ على ضوئه ..

الليل زاخر بأصوات الطبيعة .. الطيور .. خرير الماء .. وثبات الأسماك .. شخير (إلين) من أنفها المسدود ..

سمع صوتًا من خلفه فنظر إلى الماء .. كانت هناك دوامة تتسع ببطء كأن شيئًا سقط فيه ..

وقبل أن يفهم ما حدث شعر بأن هناك من يقف وراءه ، وفجأةً التفت حول عنقه قطعةً من السلك مزقت كل شيء فيما عدا العظام ..

وبينما هو يعيش لحظاته الأخيرة ، لم يشعر بألم .. فقط شعر بحيرة .. بأن شيئًا ما خطأ .. ثم لا شيء ..

وقف المتسلل عند أعلى درجة تقود للقاع يصغى ..

كان صوت غطيط (إلين) عاليًا .. لكن قطرةَ ماء سقطت على أنفها فتحركت .. شمت رائحةً شنيعةً كأن حيوانًا مات ها هنا ..

ـ « هل حان الوقت ؟ »

ونظرت إلى الظل الذى يسدّ الباب .. حسبته زوجها أولاً ..

ـ « اتلى صلاتك يا مدام ! »

كان هو قائل هذا .. حاولت النهوض لكن اليد أرغمتها على الرقاد والتمع شيء أمام عينيها ، ثم ابتعد الظلّ ..

حاولت أن تتكلم .. عندها فقط أدركت أنـه لم يعد لها حلقوم ..

وقف الرجل يتفقد السلاح .. يختبره ثم صوبه إلى السماء وضغط الزناد .. كان الصوت غريبًا .. وراح يصغى إليه لحظات ..

ثم وثب إلى الماء متجهًا إلى القارب الآخر ..

بعـد دقائق تـردد صـوت طلقتين عبـر الجبـال الصامتة ..

* * *

أربعــة ..

كان (جوستين) يقرأ المجلة متوترًا ، وهو يردد :

ـ « ستقتلنى أمى .. »

قال (مينارد) وهو يقود السيارة :

ـ « وما المشكلة فى أن تنسى درس البيانو ؟ سأتصل بالمدرس من المطار ، وسوف يصدقنى .. سأقول له إنك مصاب بضربة شمس .. ولسوف أدفع له .. »

ـ « ماما تقول إن شيكاتك بدون رصيد .. »

ـ « هى تقول هذا ؟ ما كان لها أن تقوله .. لكن شيكًا واحدًا بلا رصيد ليس عادة .. »

ـ « ماما تقول إن السلوك السيئ هو أفضل موعظة .. »

ـ « ليست كلماتها بل هى كلمات (بن فرانكلين) .. والتعبير الأصلى يقول :

ـ « المثل الحسن هو أفضل موعظة .. »

وواصل (جوستين) تفقد المجلة ، بينما السيارة تتجه إلى المطار ..

* * *

من المطار استقلا سيارة أجرة ؛ وترجل (جوستين) عند الفندق ، بينما توجه الأب إلى كاتدرائية (واشنطن) ..

وفي الطريق راح يتذكر الأسئلة التي سيوجهها لـ (مايكل فلوريو) ، حارس الشاطئ الذي كان معينًا في التحقيقات الخاصة باختفاء القوارب .. حين حدثه هاتفيًا من الجريدة ؛ كان (فلوريو) متوترًا .. وأصر على أن يضع (مينارد) السماعة ليطلبه بنفسه ؛ وهي طريقة قديمة لكنها فعالة للتأكد من أن المتحدث هو من يزعم أنه هو ..

وكان (مايكل فلوريو) - إذ قابله - في الأربعينات.. يبدو في حالة صحية ممتازة ، وله بطن مسطح لم يترهل بعد ..

قال له (مينارد) وهو يصافحه :

- « شكرًا على موافقتك على لقائي .. »

وأدرك أن الرجل يعيش وحده ، لأن المكان كان

أدنى إلى الورشة ؛ والأرض ملأى بقطع نحت تمثل الأسماك ..

قال (فلوريو) إذ جلسا :

- « ليكن واضحًا أن ما أقوله ليس للتسجيل .. »

- « لا بأس .. أرجو المعذرة لكنى فعلاً لست مهتمًا بك أنت .. »

- « حسن .. لا أريد أن يهتم بى أحد .. »

وراح يمرر الإزميل على رأس تمثال .. وأردف :

- « مازالوا يتصلون بى ؟ »

- « من ؟ »

- « أقارب المفقودين .. يعرفون أننى مهتم .. ومازالوا يأملون فى أن يكون أقاربهم أحياء .. »

- « ستمائة قارب ! لا بد من إجابة ! »

- « أنت تعرف بعضها .. ثمة أشخاص يأخذون القوارب حيث لا يجب أن يأخذوها ؛ وأشخاص يحرقونها طلبًا للتأمين ، ويغرقون معها قبل أن يهربوا .. لكن باقى القوارب؟ لا يوجد تفسير لعين ..

خذ عندك القارب المسمى (ماريتزا) .. هذا مثال جيد لقارب فى حال طيبة يقوده قبطان ذو خبرة

عالية ، وطاقم من المحترفين .. يغرق فى يوم هادئ صفت مياهه ، فلو ألقيت طفلا فى الماء لظل طافيا ثلاثة أيام .. »

ـ « وهل لديهم نظرية ما ؟ »

ـ « بالطبع يتصورون أنها صدمت صخرة وغرقت، أو أن أحد محركاتها قد انفجر .. لكن هل حاولت أن تفجر محرك (ديزل) من قبل ؟ لو فعلت ـ وهو أمر عسير ـ لملأ الحطام والوقود صفحة الماء .. ولماذا لم يصل ناج إلى الشاطئ قط ؟ »

وواصل بالإزميل إزالة الشوائب عن أحد التماثيل ، وقال :

ـ « هناك قارب يختفى كل يومين بانتظام ، ومنذ ثلاثة أعوام .. تماما كساعة السكان فى المدينة .. مشكلة التحقيق فى الموضوع هى النفقات الباهظة للبحث فى المحيط .. قلة خبرة البحارة الجدد .. المشاكل المغناطيسية غير المفهومة التى تجعل البوصلة واللاسلكى عديمى القيمة .. والجو الشرس هاهنا .. »

وراح يحكى لـ (مينارد) مزيدا من القصص



وواصل بالإزميل إزالة الشوائب عن أحد التماثيل ، وقال :

ـ «هناك قارب يختفى كل يومين بانتظام ، ومنذ ثلاثة أعوام» . .

الغامضة ، بعضها حقق فيه مكتب الاستخبارات الفيدرالى FBI لكنه كان يحتاج إلى تمويل أكثر .. ثم إن الحكومة لا تبالى إلا بالمشاهير ، فلو اختفى قارب (روبرت رد فورد) لانقلبت (واشنطون) رأسا على عقب .. أما لو اختفى قارب (جو) ، فانس الأمر ..

هناك عامل آخر هو أن أصحاب القوارب يهابون إبلاغ الشرطة لأن شركات التأمين تسبب لهم متاعب .. عندما تطلب رجال الـ FBI وتقول لهم إنك تشك فى اختطاف القارب ؛ عندها سيثور جدل كبير ولن تحصل على مليم من مبلغ التأمين .. من الأسهل أن يتهموا مثلث (برمودا) .. وكل الناس تريد أن تؤمن بمثلث (برمودا) هذه الأيام ..

سأله (مينارد) :

- « هل تؤمن به ؟ »

- « أؤمن بماذا ؟ لقد قرأت كل الكتب عن قارة (أطلنطس) ووحوش البحر وأعاصير قاع المحيط .. من المؤكد أن القوارب تختفى هناك .. لكنى أقسم لك إن مثلث (برمودا) مجرد مثال للطبيعة والإنسان حين يعملان فى اتجاهين مختلفين .. وحين تتضاد أغراضهما .. »

« هناك أحمق يتجه إلى (البهاما) بقاربه معتمدًا على الخرائط ـ وكثير من الحمقى يفعل ذلك ـ غير عالم أنها كارثة لا ينتظر سوى أن تحدث .. »

ونزع (فلوريو) عويناته تاركًا إياها تتدلى من عنقه ، وقال :

ـ « أعتقد أن ثلث القوارب قد غرق.. والخمس اختطفه تجار المخدرات.. ودستة سُرقت كالسيارات .. لكن تظل نسبة كبيرة بلا تفسير .. هل تعلم أن قاربين قد اختفيا هذا الأسبوع ؟ »

ـ « أين ؟ »

ـ « في جيب بين خطى عرض ..... »

ثم توقف وقال :

ـ « اللعنة ! أن أريك لأسهل من أن أخبرك .. »

واتجه إلى مكتبة ملئت بالكتب وبقايا السفن ، وبحث عن خارطة فتحها ، وأشار إلى خط من الجزر يشبه الهلال ..

ـ « (كايكوس) .. جنوب (البهاما) وشمال (هايتى) .. إنها مستعمرة بريطانية .. »

ـ « وماذا هناك ؟ »

ـ « حطام سفن .. إن المياه هنـاك مصيدة شيطانية .. أنت فى المياه العميقة وفجأة يصير الماء ضحلاً بمقدار أربعة أقدام .. كان هناك جدل حول الموضع الذى هبط فيه (كولومبوس) إلى (أمريكا) .. قال البعض إنه (سان سلفادور) فى (البهاما) ، لكن آخرين قالوا إنه (كايكوس) .. »

ـ « كيف تصل هناك ؟ »

ـ « جوًا .. بالطيران من (ميامى) .. إن أروع شىء هناك هو العقارب .. هل زرت الجزر الاستوائية من قبل ؟ »

قال (مينارد) :

ـ « زرت (ناسو) .. واصطدت السمك فى (ووكركاى) .. ومارست الغطس فى (إليوثيرا) لكن هذا منذ زمن بعيد .. »

ـ « لا أدرى ما يدور بخلدك .. لكن (ناسو) ليست (كايكوس) .. إن (ناسو) بالنسبة لها أقرب إلى (نيويورك) وربما متحضرة مثلها .. »

ـ « ليس بخلدى شىء معين .. »

ـ « بل الأمر كذلك .. لكن هذا شأنك على كل حال ..»

* * *

عاد إلى الفندق ليصطحب (جوستين) .. امسك الصبى بيد أبيه فتحرر هذا منها فى حرج ، لكن الصبى تشبث أكثر ..

لم يكن (مينارد) معتادًا على إمساك الأيدى حتى بالنسبة لابنه .. ثم شعر بحزن عميق لأنه أدرك كم فقد التواصل مع ابنه بعد فترة الفراق .. لم يتعرف مخاوفه وحاجياته ، وغدا بالنسبة له شخصًا ذكيًا يلقاه فى نهاية الأسبوع ليتبادل معه مناقشة متحضرة غير حميمة ..

لكن الصبى يريد الاتصال ثانية ..

لذا اعتصر يده فى حرارة شاعرًا بدفء قلبه ..

* * *

خمســة ..

- « ليست لدىّ فرشاة أسنان .. »

قالها (جوستين) لأبيه وهما فى الطائرة .. فردّ هذا :

- « سنبتاع واحدة .. إنهم يغسلون أسنانهم فى (فلوريدا) كذلك .. »

كان هذا عاشر اعتراض يوجهه (جوستين) فى أثناء رحلة الطائرة .. ولم تكن اعتراضات مهمة أو خطرة بل هى تعبير عن توتره نتيجة الخروج عن الروتين التقليدى ..

- « وماذا ستفعل فى (ميامى) ؟ »

- « لا شىء .. سنلقى أناساً ونوجه أسئلة .. »

وبدأت الطائرة تهبط فى مطار (ميامى) ..

ابتاع (مينارد) بعض مجلات الأطفال (ستريبس) وجريدة المساء .. حقاً لم تكن هناك أخبار عن اختفاء قوارب جديدة ، ثم اتجه ليسأل عن طريقة الوصول إلى (كايكوس) فى الاستعلامات ..

لكن الموظفة لم تكن على علم باسم البلد أصلاً ، وسألت زميلها عن هذا البلد فقال :

ـ « لا توجد أضواء فى ممر الهبوط هناك .. حاول الهبوط ليلاً وستجد نفسك فى (إفريقيا) ! »

ـ « وماذا عن غد ؟ »

ـ « ربما .. لو كان لديهم (مزاج) .. »

ـ « من هم ؟ »

ـ « شركة (تووبيك أير أواى) .. »

ـ « وشركة (ريلايابل) لا تذهب هناك ؟ »

ـ « الحكومة هناك ألغت رحلاتنا .. تقول إن خدماتنا غير منتظمة .. كيف بحق السماء تنتظم خدماتنا بينما نصف الممر ملىء بالحفر والنصف الآخر تغمره المياه ؟ »

ـ « أين مكتب (تروبيك أير أواى) هذا ؟) .

ـ « لا مكتب.. إن الرجل يمارس عمله فى البار.. »

ـ « وكيف يبدو ؟ »

ـ « لا يمكن ألا تعرفه ما لم يكن قد فقد وعيه على الأرض الآن ! »

كان البار مزدحما .. لكنك تستطيع بسهولة رؤية

شعار (تروبيك) على ظهر قميص الرجل الجالس ..
دنا منه (مينارد) وطلب لنفسه وللصبى (كولا) ، ثم قال للرجل :
- « معذرة .. لكنى راغب فى الذهاب إلى (كايكوس) .. متى تكون الرحلة القادمة ؟ »
قال الرجل :
- « ثمة طائرة جيدة تقلع غداً .. »
- « هل لى أن أحجز مقعدين ؟ »
- « ناب .. ليس بوسعى أخذ مسافرين .. »
قال (مينارد) لنفسه : فليذهبوا إلى الجحيم .. وأمر (جوستين) بالانتهاء من (الكولا) .. سريعاً حتى يمكنهم حجز مقعدين إلى (نيويورك) ..
هنا قال الرجل :
- « لم أقل إنه ليس بوسعك المجىء .. قلت إننا لا نأخذ مسافرين .. لكنى سوف أصحبكما مجاناً .. »
- « آه .. هذا .. هذا لطيف .. »
- « لكن بالطبع لا يوجد ما يمنعك من المشاركة فى ثمن الوقود .. »
- « ليكن .. وما المساهمة العادلة ؟ »

ـ « خمسون دولارا نقدا على كل رأس.. مقدما !»
ـ « ليكن .. ومتى ؟ »
ـ « السابعة صباحا .. لن ننتظرك .. »
ـ « وما نوع الطائرة ؟ »
ضرب الرجل رأسه كأنما لم يعد يتحمل كل هذا الغباء .. وقال :
ـ « الطائرة هى ما يشعر به الطائر السعيد حين يصحو من النوم .. »
لم يجد (مينارد) شيئا مهذبا يقوله سوى «ليكن» .. وجذب الصبى من ذراعه ليغادرا المكان ..
كانا سيبيتان ليلتهما فى الفندق ..
ثم تبدأ رحلتهما الرهيبة غدا ..

★ ★ ★

عرف (مينارد) من عامل الهاتف أن هناك هاتفا واحدا فى (كايكوس) هو دوما مشغول أو معطل ، وأكثر اتصالات الناس هناك باللاسلكى ..
طلب منه (مينارد) أن يتصل بهذا الرقم .. كان يريد أن يبلغ الجهات الحكومية هناك ، وإن لم يكن واثقا من أن الجزيرة لها حكومة أصلا ..

هنـا ـ لغـرابـة المصـادفة ـ رد الرقـم .. وسـمـع (مينارد) ضوضـاء إسـتاتيكية وطنينـا ، ثـم سـمـع صوت امرأة وسط الطنين تقول :

ـ « من يتحدث ؟ »

كان الصوت بعيدًا جدًا .. لذا راح يصرخ :

ـ « (بلير مينارد) مـن جريـدة (تـوداى) أحـاول طلب أحد بالحكومة .. »

ـ « اللعنة ! (بيردس) ! إنه المأمور هنا .. »

ـ « هل لك أن تخبريه بأننى صحفى من (توداى) ؟ آتى غدًا .. »

وهنا دوى صوت صفارة تثقب السمع ثم انقطـع الخط ..

صعد (مينارد) إلى حجرته ، فوجد (جوستين) يشاهد التلفزيون وسأله :

ـ « هل اتفقت مع الجهات الحكومية ؟ »

فى سخرية قال (مينارد) :

ـ « إن طلبى تحت الدراسة ! »

وفـى الصـبـاح اشـتـرى مسـدسًـا مـن طـراز (بى بى كى) ..

قال له البائع فى حماسة وقد أدرك أن الصبى هو زبونه الأساسى :

- « تصميم فنلندى .. أفضل مسدس فى الكون .. قد مزجوا ما بين مزايا الـ AR-15 ومزايا AK-47 فولدت الـ (فالمت) .. »

- « وما مزاياها ؟ »

- « البساطة .. لا تلتصق أجزاؤها أبدًا حتى فى الرمال والوحل تستعمل ذخيرة حلف شمال الأطلنطى عيار ٦٢ر٧ ، ويمكن تبادل ذخيرتها مع أية بندقية أوروبية .. ويمكنها القتل بسهولة تامة .. »

تساءل (مينارد) فى شك :

- « حسبتها أسلحة صيد لا أكثر .. »

- « إنها كذلك .. لكن الصيد هو ما يمارسه الصياد لا الفريسة .. »

ومن الغريب أن البائع لم يطلب بطاقة هوية .. كل ما طلبه هو إيصال استلام من (مينارد) عليه اسمه..

أخبره البائع كذلك أنه لا مشكلة فى ركوب الطائرة بسلاح كهذا ، فهم لا يجرون فحصًا بالأشعة ولا يجرون تفتيشًا ..

أما عن الجمارك فلسوف يفتشون حقائبك ، لذا عليك أن تضع لهم شيئا صغيرا ممنوعا يجدونه فى أثناء التفتيش ..

هذا سيبعد أنظارهم عن السلاح ..

* * *

سنة ..

كانت الطائرة عتيقة من الطراز (دى - سى - ٣) ، يقودها طيار أمهق يدعى (ويتى) .. كان له شعر أبيض مجعد وحدقتان ورديتان وجلد بلون الطبشور .. ولم يكن يتحمل ضوء الشمس لذا ارتدى منظارًا شمسيًا وقميصًا طويل الكمين وقبعة عريضة ؛ ووقف تحت جناح الطائرة - فى هذا الوقت المبكر - يرقب عملية تحميل الطائرة ..

جلس (ويتى) فى مقعد الطيار ، وفتح مقعدين لـ (مينارد) و (جوستين) ، فسأله الأول :

- « أين حزام الأمان ؟ »

قال (ويتى) :

- « إن من لا يحمل ركابًا لا يحتاج إلى حزام أمان .. »

وخلف (مينارد) كانت صناديق الفاكهة والمعلبات .. وبعض الأقفاص الملأى بالدجاج الحى وخنزير ضخم مخدر ..

قال (ويتى) :

- « لا بد من تخدير هؤلاء .. كنت فى طريقى إلى (بهاما) حين نهض خنزير كنت أقلّه معى ، وراح يجرى هنا وهناك ويصرخ ، حتى اضطررت إلى رميه بالرصاص .. »

وأدار (ويتى) المحركات ، وراجع صماماته .. ثم بدأت الطائرة تتحرّك ..

انتهى نصف الممر والطائرة على الأرض لم تبرحها، فجذب الرجل العصا وراح يكلم الطائرة برفق:

- « هلمى يا فتاة .. هلمى .. »

إلا أنها لم تستجب ..

- « اللعنة ! هيا .. »

وأخيرًا ببطء وجهد جهيد راحت الطائرة ترتفع وقد كاد الممر ينتهى ..

نظر (مينارد) إلى كفيه اللذين غمرهما العرق فمسحهما فى سرواله ، ثم راح يرمق حطام الطائرات على جانبى الممر .. سأل الطيار :

- « ما هذه ؟ »

- « نسميها (مفاجآت) .. حين تهبط أو ترتفع في سلام .. ثم .. فجأة .. تكف عن ذلك ! »

واتجه بالطائرة نحو الشمس ، وقال لـ (جوستين) :

- « هناك قدح وترموس ملىء بالقهوة عند قدميك .. صب لي واحدًا .. »

ناوله (جوستين) القهوة وهو يرمق لوحة القيادة في اهتمام ..

وفتح الطيار خارطة كبيرة راح يتأملها مغمغمًا :

- « فلنر ما إذا كان بوسعنا أن نجد تلك اللعينة .. كل هذه الجزر تبدو متماثلة من عل .. »

طاروا فوق (حلف ستريم) إلى (بيميني) و(كات كايز) ثم جنوبًا إلى (آندوز) ثم إلى سلسلة (البهاما) .. كان الجو صافيًا بلا سحاب .. والماء دستة من ظلال الأخضر والأزرق ..

بعد ثلاث ساعات أشار (وينى) إلى سحابة في الأفق وقال :

- « لا بد أن هذه (كايكوس) .. »

- « أين هي ؟ »

ـ « تحتَ السحابةِ .. إن حرارة الأرض ترتفع لتصدم الهواء البارد وتتكون سحابةَ .. »

وهنا ظهر شكل جزيرةَ ..

دفع (ويتى) العصا للأمام فبدأت الطائرة تهبط .. من ٨٠٠٠ قدم إلى ٤٠٠٠ قدم .. ونظر (مينارد) إلى الغرب فرأى جزرًا عدةَ .. لا بد أن هذه الكبيرة هى (نافيداد) .. أما إلى الشرق فلا شىء سوى جزر لا يسكنها أحد ..

وتذكر (مينارد) ما قاله له (فلوريو) : إن شواطئ (كايكوس) غادرة حقًا .. يتغير عمق الماء فيها بلا إنذار وسرعان ما يصطدم القارب بصخور عملاقة بعد فوات الأوان ..

راح (ويتى) يصدر التعليمات لنفسه فى أثناء الهبوط :

ـ « أنزل الزعانف .. العجلات .. »

أخيرًا لامست العجلات الأرض واستقرت ..

كانت هناك دستةَ من رجال الجمارك يمسكون لوحات الكتابة ، وعلى أكتافهم (الإيبوليتات) ..

قال (ويتى) وهو يغلق المحرك :

ـ « لو كان معك حشيش داره .. فهو يثير جنونهم .. »

قال (مينارد) فى قلق :

ـ « ليس أنا .. »

وتأكد أن سترته مزررة جيدًا حيث كان يشعر بثقل المسدس .. ثم سأله :

ـ « هل ستعود اليوم ؟ »

ـ « لو كنت ستفعل .. »

نظر (ويتى) إلى ساعته ، وقال :

ـ « طبعًا .. إنها الحادية عشرة .. أحتاج إلى ساعة لتفريغ الشحنة وساعة للتحميل وساعة للغذاء .. إن الواحدة وقت مناسب .. »

اتجه (مينارد) إلى رجال الجمارك يريهم بطاقة الجريدة ..

فحص رجل الجمارك البطاقة فى اهتمام .. ثم صاح ملوحًا بها :

ـ « تأتى لبلد أجنبى حاملاً هذه ؟! ماذا تظننا ؟ »

ـ « إسمع .. لقد اتصلت أمس وقد ...... »

ـ « ماذا تحسبنا ؟! »

فارقت (مينارد) أعصابه حتمًا سيقبض عليه وسيتم تفتيشه .. لذا قرر أن يلعبها فى ثقة .. مال على رجل الجمارك، وقال همسًا :

- « يبدو أنك أذكى مما توحى بـه .. الأمر يتعلق بمستقبل الجزيـرة .. مليـاردير أمريكـى راغـب فـى شرائها .. هذا رائع .. لكن بشـرط أن يتم دون فساد أو إفساد .. »

كان يتكلم بسرعة حتى إنه نسى ما قاله حين وصل لنهاية الكلام ..

بدت الدهشة على رجل الجمارك ، وسأله :

- « كم يستغرق هذا العمل ؟ »

- « حتى الثانية ظهرًا .. أترى؟ لا مشاكل هناك .. »

قال الرجل لزميله الجالس وراءه يقرأ مجلة أطفال:

- « هل سمعت هذه الحدوتة الجميلة ؟ »

ثم سأل (مينارد) وهو يشير لحقائبه :

- « هل من شيء ممنوع معك ؟ »

أخـرج (مينـارد) من حقيبتـه نسـخة من مجلـة (هاسلر) ، وصاح فى حرج :

- « معى هذه .. وإننى لأعتذر بشدة .. لـم أعرف أنها ممنوعة هنا .. »

كـان يعمـل كمـا أوصاه بـائع السـلاح ، لـذا تصفـح الرجل المجلة ، وقال :

- « محظوظ أنت لأنك أخبرتنى .. لو وجدتها أنا لكلفتك خمسين دولارًا غرامة .. »

نهض الرجل قارئ المجلة فصافح (مينارد) وقال :

- « مرحبًا بك .. نحن نرحب بالصحافة هاهنا .. كلهم يأتون مليئين بالصداقة والإخلاص مثلك واعدين بمقالة عن (الجنة العذراء) .. وكأنما يكتشفون بلادنا للمرة الأولى .. يظفرون بطعام مجانى وقوارب مجانية .. ثم يعودون .. ليكتبوا قصة مثيرة عن الفقر والقذارة هنا .. »

قال (مينارد) فى حزم :

- « أولاً : أنا لا أكتب فى السياحة .. ثانيًا : لا أريد شيئًا مجانيًا .. »

- « الطريقة الوحيدة لإثبات ذلك هى أن تدعونى إلى الغداء .. »

وقد كان ..

★ ★ ★

على الشاطئ استقرت السفينة وقد انغمر نصفها تحت الماء .. كان كل من مر بها قد انتزع منها

شيئا : المسامير .. عجلة القيادة .. الإطارات النحاسية .. الدفة .. وتساءل (مينارد) عن كنهها لكن مرافقه لم يبد مندهشا .. إن السفن تغرق على كل حال ..

تفحص (مينارد) الحطام فى اهتمام .. وجد ثقبا فى الخشب استقر به جسم معدنى .. استعمل مطواة (جوستين) ليستخرج الجسم فوجده كرة من رصاص.. أطلقت من بندقية عتيقة (فلينت لوك) ..

معنى هذا أن هناك من أطلق النار على السفينة أو على أحد ركاب السفينة ، ببندقية أثرية ..

لكن وقت التساؤل انتهى لأن موعد العودة إلى المطار قد حان ..

* * *

كانت الطائرة تنضج ببطء ، تحت الشمس الحارقة فى المطار ..

مخازن البضائع مغلقة مما أثار دهشة (مينارد) وتساءل :

.. « لماذا لا يحملونها ؟ قال الرجل إن هذا يستغرق ساعة .. »



تفحَص (مينارد) الحطام فى اهتمام .. وجد ثقبًا فى الخشب
استقر به جسم معدنى ..

بدا الاستمتاع على وجه مرافقه وقال :

- « هو قال هذا ؟ كل ما يضعونه فيها هو طرد بريد .. ما كان الرجل يعنيه هو أنه يحتاج إلى ساعة كى يأكل وساعة كى يستريح مما أكل .. »

- « ماذا ؟ »

- « إن له أصدقاء هنا .. يجتمعون فى حانة (سيريل) ويشربون ويتبادلون الأكاذيب ، ويشعر أنه فى داره .. هناك فى (ميامى) هو (غير متكيف) .. يسمونه الزنجى الأبيض .. ذات مرة سافر إلى (البهاما) .. لكنهم هناك عاملوه كالمجذومين .. فهو أكثر بياضًا من البيض وأكثر ألوانًا من الملونين .. لقد اعتبره الزنوج نحسًا .. أما هنا فهم يقبلونه كما هو .. مجرد قطعة من النفاية البشرية مثلهم .. »

- « ومتى تقوم الطائرة التالية ؟ »

- « لا تخف ! إن (ويتى) حذر .. ودائمًا ما ينام قبل الطيران لا فى أثنائه .. »

أخيرًا جاء (ويتى) وهو يتثاءب ويصلح من عويناته ..

- « هل ترى ؟ لقد كان نائمًا .. سيكون على ما يرام .. »

وفى خطوات ثابتة اتجه (ويتى) إلى الطائرة .. خطوات ثابتة أكثر من اللازم .. واضح أنه يركز على كل خطوة .. »

- « كيف حالك ؟ »

- « بخير .. بخير .. فلنذهب الآن قبل أن تمتص الشمس كل سوائل أجسادنا .. »

للحظة تردد (مينارد) قبل دخول الطائرة ، فصاح الطيار :

- « تحرك يا رجل .. يجب الإقلاع قبل الظلام .. »

فى هذه المرة ارتفعت الطائرة بسهولة وقد تخلصت من حمولتها ..

وطلب (ويتى) من الصبى أن يساعده فى تفقد العدادات ، وصاح وهو يرفع العجلات :

- « هلم يا فتى ! منذ متى تمارس الطيران ؟ »

واتجهت الطائرة شمالاً .. وعلى ارتفاع أربعة آلاف قدم كانت باردة جدًا فى قمرة القيادة غير المكيفة غير مضبوطة الضغط .. وراح كل زفير عميق من (ويتى) يحدث سحابة كثيفة على الزجاج ..

كان (جوستين) يرتجف فنزع (مينارد) سترته وألقاها على كتفيه ..

اتجهت الطائرة إلى (نافيداد) .. وبعد بضع دقائق من الطيران استطاع (مينارد) أن يرى علامة (X) كبيرة على ممر الهبوط فى المطار ..

نظر (ويتى) حوله ليتأكد من عدم وجود طائرات أخرى .. ثم دفع العصا للأمام فانحدرت مقدمة الطائرة لأسفل ..

كانت الطائرة على ارتفاع مائتى قدم الآن ، حين ظهر خيال رجل على الممر يلوح بذراعيه منذرا ..

رفع (ويتى) الطائرة قليلا ، وتساءل :

ـ « ماذا دها ذلك المغفل ؟ »

ودار حول المهبط مرتين باحثا عن شىء خطأ .. لا شىء ..

سأله (مينارد) :

ـ « لم لا تسأل برج المراقبة ؟ »

ـ « فكرة لا بأس بها .. لكن عليك أن تجد واحدًا .. ليس هناك سوى كشك يبيع الـ (هوت دوجز) هنا .. »

كان الرجل ما زال على الممر يلوح بعنف .. فغمغم (ويتى) :

- « إنه مخبول .. »

وجذب العصا للخلف ، وبدأ ينحدر ..

أدرك الرجل أن الطائرة ستهبط .. فابتعد راكضًا ..

كان الهبوط ناعمًا لكن (جوستين) تفقد لوحة القيادة سريعًا وفهم الخطأ :

- « إن العجلات لم تنزل بعد !! »

احتاج (ويتى) إلى ثانية كاملة ليستوعب ما قيل له .. هنا كان الأوان قد فات .. الطائرة تندفع بعنف وشراسة نحو الأرض ..

صاح (ويتى) :

- « علىَّ اللعنة إذن ! »

وانحنى (مينارد) ليحتضن (جوستين) بعنف ليثبته إلى المقعد ..

كان الهبوط هادئًا للحظة ، ثم اصطدم بطن الطائرة بالأرض وتهشم المعدن فوق الحجارة .. تطايرت النيران فى كل صوب .. مالت الطائرة إلى اليمين وانفصل أحد الجناحين ..

سمع (مينارد) الجناح يتهشم .. وشم رائحة الوقود ورائحة شعر يحترق.. ثم .. ثم توقفت أخيرًا..

لم ينظر (مينارد) للوراء .. كان يشعر بـالحرارة .. لـذا هـرع ليدفـع الصبى من النافذة المهشمة .. سقط (جوستين) على الأرض فصاح به :

- « اجر ! ابتعد ! »

ثم ضغط جسده ليمر عبر النافذة غير مبال بالزجاج الـذى راح يمزق وجهه وفخذيه .. أخيرًا وثب إلـى الأرض وركض وراء (جوستين) ..

ما إن ابتعد قليلاً حتى نظر للوراء ..

كان (ويتى) محشورًا فى النـافذة ، والنـار تلتهم أكثر الطـائرة التى اكتسب هيكلها اللـون الأحمـر .. ثعبان من نار يلتهم الطائرة فى بلعومه ببطء ..

إن (ويتى) حىّ لكنه لا يستطيع التحرّر ..

جرى (مينارد) إلى الطائرة .. بعض الجذب منـه وبعض الدفع من الطيار يمكن أن ينقذ الأخير ..

بعـد جهد جهيد خرج جسد الطيـار ليسـقط فوق (مينارد) على الأرض ..

ووقـف الثـلاثة يلهثـون وهـم يرمقـون الحطـام المشتعل ..

نزع (جوستين) سترة أبيه وأعادها إلى كتفى الأخير ..

هنا صاح (ويتى) فى مرح :

ـ « مفاجأة ! نحن مازلنا أحياء ! »

★ ★ ★

سبعة ..

استغرق التحقيق ساعة كاملة ، واتخذ شكل أسئلة موجهة إلى (ويتى) من الملازم (وسكوت) وهو أحد رجلى الشرطة فى (نافيداد) ..

كان قد تفحص الطائرة المهشمة .. لم يكن يحب الحوادث ، فمعناها قدوم موظفين من المدينة ينتقدون طريقته فى كتابة التقارير ، ويتفحصون ما لا ينبغى أن يتفحصوه ..

والواقع أن (مينارد) أدرك أن مظهر (وسكوت) هو فى حد ذاته دليل على الفساد .. كان بدينا يرتدى فى كل معصم ساعة ذهبية ، ويتضمخ بعطر ثمين .. من مصلحة هذا الرجل ألا يدقق فى أمره أحد ..

وكان (ويتى) قد أجاب كذبًا على كل الأسئلة ، وعزا سقوط الطائرة إلى عطب هيدروليكى فى المحرك ، وأنه أنزل العجلات لكنها لم تنزل ..

وانتهى التحقيق ، فقام (ويتى) بترتيب إقامة الليلة فى أحد الفنادق فى (نافيداد) يخص صديقة له..

★ ★ ★

فى الصباح اقترح (جوستين) على أبيه أن يذهبا بقارب لصيد السمك ..

سأل الأب موظف الفندق :

- « كم يتكلف استئجار القارب نصف يوم ؟ »

- « لا شىء .. »

- « إذن علىَ المساهمة فى ثمن الوقود ؟ »

- « ولا هذا .. القارب لا يذهب لأى مكان .. إنه معطل خرب ! »

- « أين أجد قاربًا إذن ؟ »

- « لا يوجد .. عند د. (وندسور) بعضها .. لكنه لا يعيرها .. »

- « وأين يعيش ؟ »

- « فى الشارع ! »

- « أى شارع ؟ »

- « لا يوجد سوى شارع واحد هنا .. »

- « وكيف أعرفه ؟ »

- « ستسمعه ! »

وقبل أن يستوعب (مينارد) المعلومة ؛

مد الموظف يده فى الدرج وأخرج علبة من طارد البعوض وقال :

ـ « لو كنت ذاهبًا خذ هذا ! »

شكره (مينارد) ، وعفّر وجهه ووجه (جوستين) بالمسحوق ثم أعاد العلبة إلى الموظف ..

كان الطريق قذرًا يحفّ به الصبّار ، والبعوض يحتشد فى سحائب كثيفة ، لكن الدهان كان فعالاً مما جعله يدنو من الجلد بضعة سنتيمترات ثم يفرّ هلعًا .. مشيا ميلاً ونصف وبدآ يعرقان فراح الدهان يذوب ، وازدادت شراسة الطلائع الأولى للبعوض ..

كانا على وشك العودة حين سمعا صوتًا عاليًا ديكانيكيًا .. صوت محرك ..

دنا (مينارد) على أطراف أصابعه ليتبين ما هناك..

فجأة رأيا مبنى مكعبًا من الصفيح .. إنه مولد كهربى هو مصدر الصوت ، وجواره مجموعة من القوارب ..

كان المنزل تحت مستوى الأرض تقود إليه بضع درجات هابطة .. فما إن دنيا وقرعا المقبض النحاسى

حتى سمعا صـوت (وندسـور) عبـر جهـاز الـ (إنتركوم) يقول :

- « ابتعـد أيهـا الأثيـوبى ! إن كنت تبيـع فـأنـا لا أشترى .. ولو كنت تشترى فأنا لا أبيع ! »

ضغط (مينارد) على الزر وهو يبتسم .. وقال :

- « برقية لك يا سيدى ! »

هنـا انفتـح البـاب .. كان (وندسـور) يرتدى روبـا (كيمونو) وخفين من الحرير .. وكـان لـه شـعر فضـى طويل يصل لكتفيه ، ووجهه راق ينم عن أصل عريق ..

قال (مينارد) :

- « سيدى .. أنا صحفى من جريدة ...... »

- نعم .. نعم .. (توداى) .. لقد أخبرتنى الطبول .. أنت من رأى الموت ثم عاد كى يحكى لنا .. »

كانت الشقة ملأى بالأثاث الثمين العريق ، وعلى الجدران علقت صور زيتية شهيرة ..

قال (وندسور) :

- « تلكم جنتى الصغيرة وسط آبار الجحيم ! »

فاتحه (مينارد) فى موضوع القارب لكن هذا أبى بشدة .. وقال :

- « هذا خطر .. القوارب تختفى هنا وأنت تعرف هذا .. »

- « لا أنتوى الإبحار إلى (كوبا) .. فقط سأبتعد ميلاً أو أكثر .. ثم إنني لقادر على العناية بنفسى .. »

ورفع قميصه كاشفا عن مقبض المسدس الخارج من سرواله ..

قال (وندسور) :

- « حسن .. سأعطيك قاربًا على الأقل كى أضمن أنه سيصمد .. لكن عدنى أن تتصل بى كل نصف ساعة باللاسلكى .. »

وغمغم (وندسور) - وهو يقتادهم إلى الباب - شىء عن الحمقى الماشين فى الظلام .. لم يكن مسرورًا بهذا ..

لكن (مينارد) وعده على كل حال ..

* * *

ثمانية ..

أبحرا لمدة ساعة فى المياه الخضراء خلف خط الأمواج ..

لم يصطادا شيئا وبدأ الملل يتسرب إلى (جوستين)، فجلس على حاجز السفينة وأراح صنارته .

قال (مينارد) وهو يتأمل الخريطة :

- « ربما كانت المياه ضحلة هنا .. فلنتجه إلى مياه أعمق حيث تعيش وحوش الماء .. »

قال (جوستين) فى سأم :

- « كما تريد .. »

ابتسم الأب وداعب شعر ابنه :

- « تشجع .. أية متعة فى الصيد لو وجدت شيئا كل خمس دقائق ؟ »

- « وهل صيد شىء كل نصف ساعة مطلب عسير ؟ »

وبدوره استعاد (مينارد) صنارته ، ثم أدار المحرك .. شغل المحرك قليلا ثم انطلق للأمام .. ومن وراء القارب تحول الماء إلى رغوة بيضاء ..

وصلا إلى المياه الهادئة فأنزلا صنارتيهما للماء ، ثم تناول مكبر الصوت ليتحدث باللاسلكى إلى (وندسور) :

- « (منكين) إلى (ريليك) .. »

جاء صوت (وندسور) :

- « أين أنتما ؟ »

- « مكتوب هنا (ممر مانجروف) .. ممر لأين ؟ لا أدرى .. »

- « أنت بعيد بما يكفى .. يكفيك العودة إذن ؟ »

- « لا يوجد ما يقلق هاهنا .. »

- « ليست هذه هى المشكلة .. المشكلة أن اللاسلكى لن يعمل على مسافة أبعد من هذه .. »

- « لا تقلق .. »

وأغلق جهاز اللاسلكى ، ثم اتجه غربًا نحو المياه العميقة ..

صاح (جوستين) :

- « الغوث ! »

كانت سمكة قد تعلقت بصنارته ، وقد ألصق مؤخرة الصنارة بين فخذيه ، بينما طرفها القصى يهتز فى جنون ..

- « ابق الطـرف عاليا ! » - صرخ (مينـارد) - « لا تجذبه ! »

- « لا أستطيع الإمساك بها .. »

لم يحاول (مينارد) معاونة الصبى بل صاح به :

- « بل تستطيع ! تراجـع للـوراء .. اجـذب البكـرة ببطء شديد .. أبق طرفها البعيد عاليًا .. »

وثبت السمكةَ من الماء .. لسان من الفضـة يلتمع فى الشمس ..

- « ابدأ لفَّ البكرة ! »

- « أصابعى متقلصة ! »

- « إذن أرحها .. لكن أبق الطرف عاليًا .. »

- « ما نوعها ؟ »

- « سمكةَ (براكودا) .. عشرون رطلاً .. »

السمكةَ تتملص فى شراسة .. تغطس ثم تثب فـوق الماء .. كانت قد دنت جدًا فانحنى (مينارد) ليمسكها من الخيط ويطوح بها فوق السطح ..

صاح (جوستين) فى حبور وهو يرى سـمكته الأولـى ويالهـا مـن سمكةَ ! أما (مينـارد) فـانحنى بالبنسةَ ليلتقط الخطاف من فم (البراكودا) ..

وعند الساعة الواحدة اتصل بـ (وندسور) ليبلغه بآخر أخبارهما ..

* * *

عبر الماء رأى (مينارد) بقعة بنية طافية ..

سأله (جوستين) :

ـ « هل نحن عائدان ؟ »

ـ « دقائق .. »

ـ « ما هذا الشىء ؟ »

ـ « لا أدرى .. فلندن أكثر .. ربما كانت سلحفاة مائية أو سمكة قرش .. »

كان قاربًا خشبيًا من طراز الـ (كانو) ذا طرفين مدببين .. وكان فارغًا فيما عدا منصة صغيرة .. لكن الشمس كانت مرتفعة وسطح الماء قد صار كالمرآة مما جعل الرؤية عسيرة ..

انحنى (مينارد) بصعوبة جوار (جوستين) .. إنها فتاة .. فتاة صغيرة ترتدى سترة نجاة برتقالية وتتشبث بالقارب .. تلوح بطريقة أثارت ذهول (مينارد) .. لم يكن فى تلويحها خوف ولا يأس .. بل اليد تتحرك ببطء وانتظام كأنها آلة (مترونوم)

من التى توقفت عـزف البيـانـو .. ولـم تكن تصرخ أو تستغيث ..

دنا (مينارد) بالقارب ، وصاح بالفتاة المغمورة فى الماء :

ـ « هل تتألمين ؟ »

لم تقل شيئًا .. فقط هزت رأسها أن (لا) .. أطفأ المحرك كى لا يسبب لها أذى ، ثم انحنى وأمسك بيدها وهو يقول :

ـ « من حسن حظك أننا هنا .. كان بوسعك أن تنتظرى أسبوعًا .. »

وأمسك معصمها بيده ..

كانت فى الحادية عشرة من عمرها ، شقراء .. بيضاء البشرة ..

شىء ما كان خطأ .. الطفلة ثقيلة جدًا .. وفى عينيها بريق ذعر .. ما الذى ؟

وهنا رأى أن أنبوبًا مطاطيًا يخرج من الماء ، ويزحف تحت ثيابها إلى مؤخرة رأسها ..

ثم اصطدم الماء بوجهه ، وسقط إلى الوراء .. كان هناك الآن رجل يقف على ظهر السفينة يلهث

وهو يلوح بفأس ، بينما الماء يخرج من منخريه وأعشاب البحر ملتصقة بشعره الطويل ولحيته ..

كان قميصه ممزقًا ؛ أما قدماه فكانتا فى خفين من جلد الحيوانات غير المدبوغ ..

رآه (مينارد) يدنو منه ملوحًا بالفأس ..

ثم ظهر صبى أسمر نحيل ، ناوله الرجل الفأس ، وقال :

- « الآن ! انته منه ! »

صاح (مينارد) :

- « (جوستين) ! »

رأى (جوستين) يتوارى وراء عجلة القيادة ..

ودون براعة أمسك الصبى بالفأس ، ولم يتحرك .. انتزع الرجل من سرواله خنجرًا ذا حدين ومرره تحت أذن الصبى فسالت قطرة دماء ، وصاح :

- « أيها الوغد البرتغالى ! ستفعل ما تؤمر به ! »

فى اللحظة ذاتها مدّ (مينارد) يده إلى ما تحت قميصه .. أخرج المسدس وصوّب الفوهة نحو الرجل .. لكن يده اهتزت .. فما كان قد صوّب مسدسًا إلى كائن حىّ من قبل ..

ثبت يده اليمنى بيسراه ، على حين وقف الرجل في ثبات يطوح الخنجر من يد إلى يد .. كان يتقدم نحوه ..

أخيرًا وثب الرجل إلى الأمام ، في اللحظة ذاتها التي انطلقت فيها الرصاصة .. كانت الطلقة أصغر من أن تسقط الرجل للوراء ، لكنه هلك في منتصف المسافة .. مزقت الرصاصة أذنه اليسرى ، وطار ليصطدم بعجلة القيادة ، ثم يتكوم عند قدمي (مينارد) ..

منذ ثوان كان هذا رجلاً حيًا .. تم هذا العمل السحري بتحريك الإصبع ½ بوصة على الزناد ..

وقبل أن يستوعب (مينارد) هذه الحقيقة ، كان الصبي الأسمر متعلقًا بعنقه ويداه تمزقان وجهه ، وأسنانه تقضم عنقه ..

حاول (مينارد) انتزاع الصبي ، لكن أصراف الأخير كانت كممصات إخطبوط .. ما إن تنتزع واحدًا حتى يلتصق بك آخر ..

حاول أن يشدّ الغلام من شعره ، لكن هذا عضّه حتى عظام سلامياته .. اليد تحاول أن تنتزع كرة عينه من محجرها ..



وقبل أن يستوعب (مينارد) هذه الحقيقة ، كان الصبى الأسمر متعلقًا بعنقه ويداه تمزقان وجهه ، وأسنانه تقضم عنقه ..

- « اقفز إلى الماء ! سيضطر إلى تركك ! »

قالها (مينارد) لنفسه .. وتراجع إلى الوراء .. بضع خطوات ، ثم سمع صوتًا عاليًا وأدرك أنه فقد توازنه ..

ثم زالت الضوضاء ولم يعد من شيء ..

وثب الصبى من فوق جسد (مينارد) ، وساعد الطفلة على الصعود إلى السطح .. كانت ترتجف وهى تنزع الأنبوب من تحت ثيابها .. الأنبوب الذى يشبه حرف (y) مقلوبًا .. كان الفتى والرجل يتنفسان من طرفى الـ (y) ..

هرع (جوستين) إلى أبيه الذى تمدد على الأرض ورأسه ينزف .. تمنى أن ينهض أبوه ويضحك ويقول له إنها مزحة لا أكثر ..

مدّ يده سريعًا إلى مكبر الصوت ، وضغط على زرّ (تكلّم) .. ثم صاح فى الجهاز :

- « النجدة ! لقد قتلوا أبى ! »

فى اللحظة التالية هوت لكمة على وجهه فطار عبر السطح ..

صاح الصبى الأسمر :

- « لا أحد يعينك الآن يا وغد ! »
ثم تناول مكبر الصوت وقال للطفلة :
- « هلمى يا (مارى) نغن لهم شيئا ! »

★ ★ ★

وفى المطبخ سمع (وندسور) صوتى الطفلين المليئين بالمرح يغنيان :
« هو خدع صاحبه وسرق خنزيره .. »
« هو قتل الراهب والواعظ .. رباه ! »
« هو ذبح أعداءه .. »
« (البوكانير) الشرس الشرس ! »
كان الصوت غير واضح ومليء بالقرقعات .. لكنه عرف الكلمات فورًا ..
لم ينتظر حتى يسمع الضحكة التى ستلى هذا ..
أغلق اللاسلكى وغمغم فى حزن :
- « فلتكن الريح رفيقة بشراعك واصاحبى .. »

★ ★ ★

تسعة ..

لماذا يجذبونه ؟ لقد قال لهم إنه لا يرغب في الرقص .. لكنهم مازالوا يجذبونه مصرين من قدميه .. وكلما تألم كلما ازدادوا مرحًا ..

« أرجوكم .. أريد أن أشرب » .. لكنهم يضحكون ..

ثم ابتعدوا عنه وزال الألم ، وتلاشى الحلم ..

فتح عينيه فرأى السماء .. نظر لأعلى فرأى يديه مربوطتين ، ونظر لأسفل فرأى كاحليه مربوطين .. إنه مصلوب ما بين ساريتين خشبيتين ..

كان في ساحة من الرمال وحيدًا ، وثمة من يصخبون بعيدًا ..

حاول أن يتملص وأن يجد القوة ليحرر ذراعيه ، لكنه فشل وصرخ ألمًا .. وسمع من يقول لآخر :

ـ « لقد صحا ..... ! »

ـ « فقط لينام ثانية ! »

ـ « لكن يجب أن يصحو وهو يرى وجه الموت .. يقولون إنه دميم ! »

- « لا شيء دميم سوى وجه زوجتك ! »

كان (مينارد) مذعورًا ، لكن الحيرة والألم أبعدا خوفه عنه ..

كان الرجال قذرين لوحتهم الشمس ، وتلطخت ثيابهم بالشحم والدم ، وجميعهم يحمل الفئوس أو المدى ..

ورأى (مينارد) ثلاثة رجال يدنون منه .. قائدهم فارع القامة في الثلاثين من عمره له شعر بني صبغته الشمس ، وله شارب شمعي يتدلى على جانبي فمه ، ويرتدي قميصًا أبيض متسخا ، وسروالا ينتهي عند أعلى الساقين ، وعلى صدره مسدسان من طراز (فلنت لوك) العتيق .. وخلفه كان رجل أكبر سنًا له شعر رمادي معقوص خلف رأسه ..

ووراء هذين كان ما يشبه امرأة لها وجه ملطخ متسخ بالفحم ، وشعر شبيه بشعر (ميدوسا) .. وعيناها ثابتتان على (مينارد) لا تطرفان ..

دنت من (مينارد) أكثر ثم بصقت في وجهه ..

سأل (مينارد) الرجل الطويل :

- « من أنت ؟ »

هنا قال الأكبر سناً للرجل الطويل :

ـ « أعطه ماء .. لا يجب أن تقتل رجلاً ميتاً .. إنه سيلقى ربه .. هذا مكتوب .. »

هنا امتدت الأيدى ترش وجه (ماينارد) بالماء من مثانة حيوان ، فراح يلعق شفتيه ، ثم أعاد سؤال طويل القامة .. فقال :

ـ « أنا (جون ـ ديفيد ناو) .. العاشر .. »

ـ « وأين ولدى ؟ »

ـ « مع الآخرين »

توسل إليه (مينارد) :

ـ « بالله عليك لا تقتله .. إنه غلام.. دعه يرحل.. إفعل أى شىء بى لكن لا تقتله .. »

فى دهشة هتف (ناو) :

ـ « أقتله ؟ لماذا ؟ أترانى أقتل جندياً قبل أن ينضج بما يكفى ليقتل ؟ »

هل أقتل ثوراً قبل أن يكبر ليجر ؟ إن ولدك سيحظى بحياة قصيرة لكنها سعيدة .. وسيصنع نهايته بنفسه .. »

ـ « وأنا ؟ »

قال (ناو) دون انفعال :
- « أنت ؟ أنت تموت ! »
- « ولماذا ؟ »
- « تلكم أساليبنا .. »
سأله العجوز :
- « هل تخشى الموت ؟ ليس الموت إلا مغامرة .. هل أنت جبان ؟ يجب أن تلقى الموت بكرامة .. ماذا يسمونك ؟ »
- « (مينارد) .. »
- « هذا اسم كريم .. اسم محارب .. »
- « وما أنتم ! »
صاح (ناو) عاليًا ليسمعه الرجال :
- « هذا الرجل هو (مينارد) .. هل منكم رجل لا يعرف دمه ؟ لقد كان جده هو قاتل معلمنا العظيم (ذو اللحية السوداء) .. »
لم يناقش (مينارد) .. فهو يجهل أجداده .. ولو كانت النجاة تتطلب هذا فهو مستعد لأن يقول إنه من نسل (جنكيز خان) نفسه ..
قال العجوز الذى عرف أن اسمه (هيزونر) :

- « إن دمك طيب .. يجب أن يكون قلبك كذلك .. (مانويل) .. هات الصبى .. »

كان (مانويل) هو الغلام البرتغالى الأسمر إياه ، وسمعه (مينارد) يقول :

- « حسن يا (لولونوا) .. »

تساءل (مينارد) :

- « بمَ ؟ بمَ ناداك ؟ »

- « (لولونوا) .. هكذا يتعلم الأطفال أن ينادونى .. وهكذا نادوا جدَ جدَ جدّى حتى عهد (تشارلز الثانى) .. »

عاد الصبى مع (جوستين) .. وكان الصبى هادئـًا على عكس ما ظن (مينارد) ..

وضع (ناو) يده على رأس (جوستين) وهتف :

- « هناك وقت للحياة وقت للموت .. الرجل يموت لكن اسمه وأعماله تبقى .. سيكون اسمك هو (مينارد توبارب) .. »

هنا ردد الجميع دون توقف :

- « (توبارب) .. (توبارب) ! »

نظر (جوستين) إلى أبيه بنظرات خاوية ، ثم بوهن قال :

- « لا تقتلوه أرجوكم .. »

قال (ناو) وهو يضرب (جوستين) على كتفه :

- « صه ! »

هنا صاحت المرأة فى توحش وهى تشير إلى (مينارد) :

- « اقلعوا عينيه ! »

ابتسم (ناو) وقال وهو يبعدها بساعده :

- « إنه نبيل كريم المحتد .. وأنا لن أقلع عينى رجل نبيل .. ثم إنه يجب أن يحتفظ بعينيه كى يرى الموت .. »

- « لكنه مزق عينى زوجى (روتش) .. »

- « و (روتش) لم يكن نبيلاً .. »

- « لو كان بهذا النبل حقًا أعطه لى .. سأتزوجه ! »

ساد الصمت .. وفى تردد قال (ناو) :

- « لكنه سيموت .. »

هنا قال (هيزونر) فى أسى :

ـ « الدستور يرغمنا على قبول ما تقول .. هذا حقها .. »

لم يبد سرور على (ناو) .. تقدم إلى الساحة وقال للمرأة :

ـ « ليكن .. هو ملكك حتى ترزقى بطفل .. بعد هذا يموت ، أما إن لم تنجبى منه فسوف ...... »

ولوّح بقبضتيه فى وجه المرأة :

ـ « سأنتزع فؤادك وألقى به فى الماء ! »

ثم أمر رجلين بفك قيود (مينارد) ، وتركه يسقط على الرمال ، ثم قال لـ (جوستين) وهو يبعده :

ـ « هلم يا غلام لم يعد أباك .. إنه زوج الحيزبون الآن .. »

رأى (مينارد) تردد (جوستين) فصاح به :

ـ « اذهب .. افعل كل ما يطلبون وابق حيًا .. »

وهنا لم يتحمل أكثر فغاب عن الوعى ..

★ ★ ★

لم يدر كم نام من الوقت ..

أحيانًا كان يدرك أنه محموم ثم يشعر بسائل على وجهه له رائحة الخل ..

وأحيانًا كان يشعر ببرد ثم يشعر بلمسة الثياب الخشنة على جسده ..

صحا فى الظلام ليدرك أنه فى كوخ من طين على شكل قبة .. وأدرك أن ذراعيه وفخذيه مكسوة باللبخات ..

كانت المرأة جالسة جواره على الأرض القذرة تحرك شيئًا فى سلطانية ، وقد غسلت الفحم عن وجهها .. لم يستطع تحديد عمرها ، فقد تجعد جلدها بفعل الشمس والهواء الملىء بالملح .. ربما أدى الطقس والحياة البدائية إلى جعلها أكبر سنًا .. ربما هى الآن فى الثلاثين من العمر ..

كانت الإضاءة قادمة من كشاف يعمل بالبطاريات يتدلى من سقف الكوخ ..

ورأى (مينارد) المرأة تناوله السلطانية آمرة :

ـ « كل ! »

كانت ملأى بسمك نىء جاف .. فسألها :

ـ « ألا تطهون طعامكم ؟ »

ـ « أنت مجنون ! أتريد أن أفقد لسانى ؟ »

ـ « لا أفهم ..

- « إشعال النار فى النهار عقابه الجلد .. إشعالها فى الليل عقابه قطع اللسان .. »

- « ولماذا تخافون النار ؟ »

- « أنت جاهل تمامًا .. سيرانا الآخرون .. »

دس قطعة سمك فى فمـه وحاول ابتلاعها ، كانت مطاطيةً فلم يجـرؤ علـى المحاولـة .. بصقها إلـى الأرض وهتف :

- « لست جائعًا .. »

وأشار إلى اللبخات وسألها :

- « ما هذه ؟ »

عادت لتحريك شىء فى السلطانية ، وقالت :

- « (سيبريا) .. »

(سيبريا) ؟ متى وأين قرأ عن (السـيبريا) ؟ وهنا تذكر أنها شجيرة يستخدم لحاؤها كمُسكن .. الآن يسمونه (ساليسيليك أسيد) .. الأسبرين ..

سألها :

- « منذ متى أنت هنا ؟ »

- « دائمًا ! »

- « وكم عمرك ؟ »

- « مائة شهر منذ صرت امرأة .. »

وهنا فهم (مينارد) ما تعنيه .. ثمانية أعوام .. إذن هى فى العشرين من عمرها ..

سألها :

- « أين ابنى ؟ »

- « مع الآخرين .. »

- « أكثيرٌ هم ؟ »

- « صبيَان والفتاة (مارى) .. »

ورآها تأخذ شحمًا من وعاء فتدهن به صدره وساقيه ، وعرف أن هذا لطرد البعوض .. سألها وهى مستمرة فى هذا العمل المقزز :

- « هل هناك آخرون مثلى ؟ »

- « أنت الوحيد الباقى حيًا .. نحن نقتل الكبار جميعًا لأنهم فاسدون .. فقط الصغار أبرياء .. هذا مكتوب فى الدستور .. »

- « أى دستور ؟ »

- « ستعرفه .. لو عشت ! »

* * *

عشرة ..

راح يتأمل الطعام فى السلطانية .. ثم قال :

ـ « يبدو لى كالبطاطس الممهوكة .. »

ـ « إنها ممهوكة.. جذور (الكاسافا) مع الموز.. »

ـ « لست .. »

ثم توقف عن إكمال العبارة حين رأى النظرة النارية فى عينيها .. من ثم واصل الأكل .. كانت (الكاسافا) بيضاء عديمة المذاق ، أما الموز فكان ناضجًا أكثر من اللازم حتى لم يبق من طعمه سوى السكر ..

كان الممهوك لذيذًا .. لكن المثير للتقزز كان أسلوبها فى الحياكة ..

كانت تستعمل إبرة مما يخيطون بها الأشرع ، وتحيك قطعة من جلد الحيوان غير المدبوغ لها رائحة لعينة ..

ـ « ماذا تصنعين ؟ »

ـ « سروالا .. لك ! »

ـ « ألا تدبغون الجلود ؟ »

ـ « لمـــاذا ؟ إن الشـمس والمـــاء المـالح يفعـلان ذلك .. وحين تدبغ الجلود علـى لابسـها فإنها تناسبه تمامًا .. »

تقلصت شفتاه من الرائحـة .. إنها رائحـة المـوت ذاته ..

هنـا انفتحت فرجة البـاب المغطـاة بالجلد ، ودخـل (ناو) حاملا صندوقًا خشبيًا فوقه سلسلة عملاقة ..

نظرت المرأة إلى السلسلة وإلى (نـاو) .. بـدا كأنها تعترض .. ثم قالت :

ـ « كما تريد .. »

استدار (ناو) إلى (مينارد) ليضربه على صـدره قائلا :

ـ « هـلم يـا كـاتب .. اعتـن بهـذه .. إن أحفـادنا سيشكرونك .. »

ـ « أين ابنى ؟ »

ـ « ليس لك ابن .. ليس لـك شـىء .. وقريبًـا لـن تكون أنت شيئًا .. »

وكانت عيناه بـاردتين ممـا جعل (مينـارد) يشيح بعينيه :

- « أريد أن أراه .. »

- « ربما تراه لو أراد هو ! »

ثم قال للمرأة في غلظة :

- « هلمي يا (جودى) واعملى .. ما دمت امرأة ستعملين كامرأة .. »

وغادر المكان ..

قال (مينارد) :

- « (جودى) .. اسم جميل .. »

- « ليس اسمًا بل هو صفة .. إن اسمى الحقيقى هو (بيث) .. والآن هلم .. »

ثم لفت السلسلة حول عنقه مرتين ، وثبتت طرفها الآخر حول دعامة في سقف الكوخ .. وأخرجت قفلاً لامعًا جديدًا .. أحكمت به السلسلة ، وقالت :

- « الآن لو أردت الهرب فعليك أن تأخذ الكوخ كله معك .. »

وحين انصرفت جلس على الأرض يصغى .. لا صوت سوى الحشرات وطيور البحر وسباب الرجال .. تفحص القفل .. كان بحالة جيدة تمامًا ولم يستعمل قط .. وواضح أنه سرق بحالته من قارب .

كان القفل رقميًا يحتمل آلاف الاحتمالات .. لذا راح يجـرب الأرقـام بشـكل منظـم 011 ، 011 ، 011 .. وهكذا .. لابـد أن يصـل إلـى الحلّ لكن هذا يستغرق أسابيع وربما شهورًا من البقاء وحيدًا .

هنـا تذكر شيئًا : أكـثر هـذه الأقفـال تجـىء مـن مصانعها مضبوطة على رقم 000 صفر صفر صفر .. فلنأمل أن أحدًا لم يجرب هذا القفل قط .. فلنـأمل أن المصنع قد ضبطه على هذا الرقم ..

جرّب الرقم فانفتح القفل . !

فكر - راضيًا - فى أن يهرب الآن .. لكن لا .. هذا مبكر جدًا .. وهو لا يعرف أين هو ، واحتمال القبـض عليه عال جدًّا .. وإن عقاب الهرب لمعروف .. إن ما حققه لعظيم القيمة لكن من الخير الاحتفاظ به حتى يؤتى ثماره ..

أغلق القفل وضبط الأرقام على 648 ..

الآن يحاول فتح الصندوق الذى تركه (ناو) ..

كانت أوراقًا عديدة كتبت باليد ، وقد حال الحبر فـى أكثرها . قرب الصندوق من لسان الضوء الداخـل من الباب ليستطيع القراءة .

واضح أنه جزء من يوميات شخص ما : (بيان بأحداث يوم سبتمبر السابع ١٦٩٧) .. راح يستخرج الأوراق من الصندوق ويرتبها حوله فى دائرة راعى فيها الترتيب الزمنى ، فكان أولها عام ١٦٨٠ وآخرها ١٩٧٨

ـ « جلست مع القبطان للقارب الذى جنح على الشاطىء ، وكان يملك قلب (بوكانير) شجاع . لكنه كان يسأل أسئلة سخيفة وبدت له دوافع يخفيها . لذا أعملت فيه السيف ورفاقه . وقد تبرأ (هيزونر) من دمهم وقال إننا سنُلعن . لذا أعملت فيه السيف أيضًا . فهو لم يعد صديقى وما دام ليس صديقى فهو عدوى وما دام عدوى فاللعنة علىّ لو أخذ نفسًا آخر .. »

ولاحظ (مينارد) أنه كلما تقدم الزمن بالأوراق إلى عصرنا ، قلَت تفاصيلها وقلَت لغتها الأدبية الرصينة .. كان هناك كلام عن سفن أسرت عام ١٩٢٠ .

« أحدثت ثقبًا فيها ونسفتها » .. وفى عام ١٩٥٠ كانت هناك قوائم من الغنائم .. ثم ورقة حديثة جدًا

تتحدث عن « سفينة الصيد (ماريتا) .. قتلنا اثنين وأسرنا واحدًا .. فاكهة .. مشروبات .. بطاريات » .

ووجد كتابًا ضخمًا باليًا محزومًا بالجلد كتب على غلافه (بوكانير أمريكا) : دراسة عن أشهر الاعتداء على سواحل (الإنديز) بوساطة البوكانير الآتين من (جامايكا)(*).. وكان الكتاب تأليف من يدعى (جون إسكوميلونج) ، ومن الواضح أنها الطبعة الأولى المترجمة عن الهولندية فى ١٦٨٤ ..

كان (مينارد) قد قرأ لـ (إسكوميلونج) من قبل باعتباره أفضل ما كُتب عن أيام القرصنة .. لقد أبحر المؤلف فى ١٦٦٠ إلى العالم الجديد كصبى على سفينة ، لكنه بيع كعبد إلى حاكم (تورتوجا) .. وفيما بعد وصفه بأنه ألعن طاغية أنجبته امرأة .. والسبب الوحيد الذى أنجاه من التعذيب هو أن سيده لم يشأ أن يخسر ثمنه ..

(*) الكتاب حقيقى .. وقد لجأ إليه (بنشلى) كثيرًا فى أثناء كتابة هذه الرواية .

واشتراه جراح علمه وعامله معاملة طيبة ، ثم أطلق سراحه مقابل تعهد بأن يدفع له مائة قطعة من عملة الثمانية لو أثرى ..

صار (إسكوميلونج) واحدا من (البوكانير) وعمل على سفنهم لمدة عامين ، ثم عاد إلى فرنسا وكتب كتابه ..

كان أشد ما يثير الاهتمام بصدد (البوكانير) هو قدرتهم على البقاء أحياء .. بموهبتهم المتوسطة استطاعوا أن يتماسكوا ويغزو أقوى أمم الأرض .

لقد مات كثيرون منهم بسبب المرض أو الحروب لكنهم لم ينقرضوا ..

بدأ (البوكانير) كعبيد فارين ، وبحارة غرقت سفنهم ، ومساجين هاربين ، ومراهقين يحلمون بالحب والثراء .. وأنشئوا مستعمرات لهم في (تورتوجا) يصطادون السمك ويدبغون الجلود ، فوق مواقد تسمى (بوكان) لهذا أطلقوا عليهم اسم (بوكانير) ..

وحين كان شخص ينضم لهم ، كان ماضيه ينمحي .. يصير له اسم جديد ربما يعود إلى موطنه

مثل (بارثلميو البرتغالى) .. أو يعدو إلى صفة فيه مثل (جاك البدين) ..

لكن أسبانيا ضيقت عليهم الخناق ، ومنعت كل ضروب التجارة فيما عدا ما يتم منها بوساطة سفن أسبانية .. وكان هذا غير كاف لأن السفن الأسبانية لا تصل سوى مرة أو مرتين فى العام ، ولا تحمل سوى القليل من المؤن .. مما يهدد حياة هؤلاء القوم وصحتهم .

لهذا ولدت كراهية مريرة ضد الأسبان لدى (البوكانير) .. وتدريجيًا غير (البوكانير) مهنتهم لتكون الصيد .. صيد السفن الأسبانية ..

بسفنهم السريعة الصغيرة كانوا يحاصرون السفن الأسبانية الضخمة البطينة ، وبأسلحتهم الخفيفة كالسيوف والخناجر كانوا يمزقون جسد الأسبانى قبل أن يتم حشو بندقيته السخيفة ..

وانتشرت سمعة (البوكانير) حتى فاقت الحقيقة بكثير .. وكان أقساهم قلبًا هو (جون ـــ ديفيد ناو) الجد الأكبر لـ (ناو) الحالي .. معه كان الأسبان يعرفون ألا أمل فى النجاة أو الرحمة .

نقد قبض (ناو) مرة على بعض الأسبان يستنطقهم .. فلما أبوا الكلام ؛ أخرج سيفه وشق صدر أحد الأسبان ، وانتزع قلبه .. ثم قضمه أمام الآخرين كذئب مسعور ، قائلا لهم :

ـ « جزاؤكم مثله ! »

يقول أكثر كذاب التاريخ إن عهد القرصنة انتهى فى بداية القرن الـ ١٨ حين كفت أسبانيا عن أن تكون قوة بحرية .. لكن (مينارد) يعرف الآن أنهم مخرفون ..

لقد شعر (ناو) بأنه مخيف للجميع حتى حلفائه أنفسهم ، لهذا أبحر إلى منطقة جزر مهجورة تدعى (كايكوس) ..

وقد أدرك أن الأرض مناسبة للفارين تمامًا .. فلا يوجد بها ما يغرى سفينة لترسو ، والمياه جوارها خطرة سخية بحطام السفن .. التى كانت فى طريقها من (كوبا) إلى الأطلنطى ..

كان معه عشرون رجلا اشترى حياتهم عشية إعدامهم عن طريق الرشوة ، وست فتيات مخطوفات ..

ولمدةَ طويلةً لم ير الجزيرةَ أحد .. لم يأتها أحد بإرادته ولم يبرحها أحد حيًا كما هو واضح .. ولكن الأمراض تفشت بشراسة فى سكانها .

بعد أن مات (ناو) طالب (هيزونر) بالسلطة المطلقة .. وكتب دستورًا يحكم به البلاد ..

فيما بعد أسروا سفينةً كانت تقل ابنةَ حاكم (بورتريكو) ، وكانت صغيرةً جدًا وبصحة جيدةً ، لهذا تزوجها (هيزونر) .. فأنجبت له طفلا سليمًا معافى أسماه (ابن أولونوا) ، وأعلن أن الطفل هو الوريث الجدير بالسلطة .. وأنه سيظل يحكم حتى يصل الصغير لسن الرشد .. بعدها يعطيه مقاليد الحكم .

وهكذا بدأت سلالةً من الحكام أصحاء الجسد فى (البوكانير) ..

فتش (مينارد) عن نسخةً من الدستور .. أخيرًا وجدها .. وكانت رقاقةً جلد مطليةً بالورنيش لحمايتها من العطب :

- « بما أننا أناس أحرار لنا حريةً أن نحارب أو نسالم الآخرين ؛ قررنا أن يكون لنا نظام يحكمنا لهذا وضعنا الميثاق ، ونقسم أن نعيش بهذا الدستور تحت طائلةً الموت .

المادة (١) : كل رجل سيطيع (أولونوا) فإن غاب فـ (هوزونر) . والعصيان هو تهمة مدنية .

المادة (٢) : كل من يثر أو يحاول الهرب أو يكتم ما يعرفه عن محاولات الآخرين للهرب سيطلق عليه الرصاص . الهرب هو تهمة مدنية .

المادة (٣) : كل من يهاجم شخصًا آخر دون إنذار عادل ينل عقاب القط (عشرين جلدة) ، فإن مات الآخر يجلد حتى الموت .

المادة (٤) : كل من يفقد طرفًا فى معركة يتلقى خمسمائة قطعة من الثمانية . أما إذا مات فسينال ورثته عُشر الغنائم .

إلخ .....

كما كانت هناك ملحقات للدستور تحوى جرائم لم تكن موجودة إبان كتابته .. مثلا : لا يحق لأحد الاحتفاظ بلاسلكى .. يوجد واحد فقط لدى الجماعة ويستخدم للاستقبال فقط ، أما إرسال الإشارات فتهمة مدنية ..

أو : لا يحق لأحد استعمال أى دواء وإلا عمّ الجنون المجتمع . كل الأدوية تدمّر فيما عدا البنسلين ، ويحتفظ به (أولونوا) ويعطيه لكل من يشعر بـ (حريق فى بوله) .. إخفاء الدواء تهمة مدنية .

هنا ظهر ظل على الباب ..

كانت هذه المرأة (بيث) .. دنت من (مينارد) فى أثناء قراءته ، ففكت طرفى السلسلة ولفت طرفا حول عنقه .. ثم أمرته :

- « قف ! »

وأمرته أن يرتدى السروال ..

كان مبتلا بالدم والدهن من الداخل ، ويفوح برائحة عطنة ..

- « إلى الخارج ! »

- « لأين ؟ »

- « (توبارب) وافق على أن يراك .. »

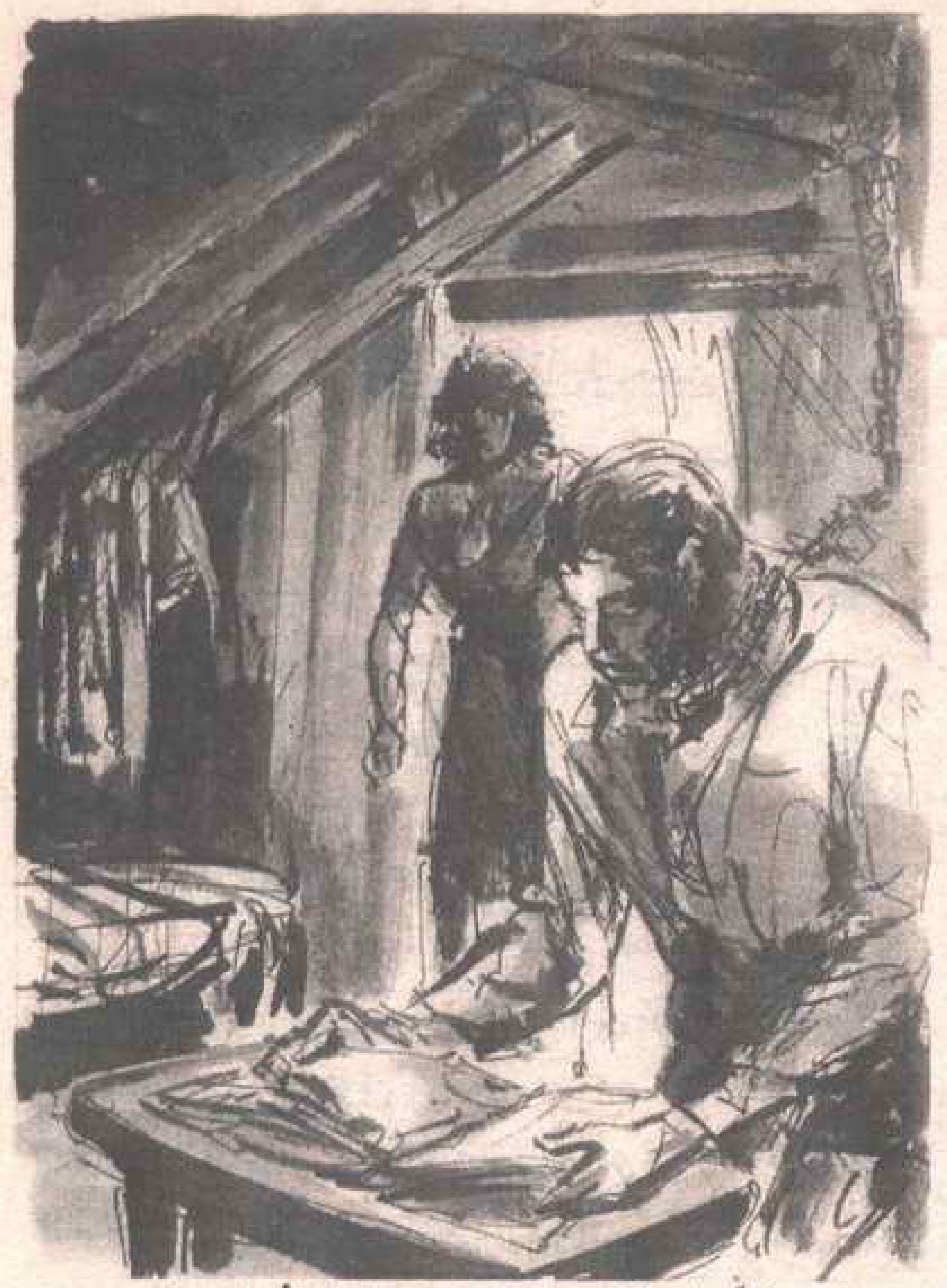
هنا تذكر الاسم .. إنه مألوف .. إنه الاسم الجديد لابنه !

- « وافق ؟ هذا فضل منه .. »

جذبته من عنقه ككلب أليف إلى الباب، وهى تقول:

- « تذكر .. الأطفال يكرمون لأنهم المستقبل .. أما أمثالك فهم .. فهم الماضى ! » .

★ ★ ★



هنا ظهر ظلٌ على الباب .. كانت هذه المرأة (بيث) .. دنت
من (مينارد) فى أثناء قراءته ..

أحد عشر ..

اقتادته عبر ممر متشعب وسط الأشجار .. بين مجموعة من الأكواخ الطينية القذرة يسمع من ورائها صوت الضحك ..

في النهاية رأى (جوستين) .. لكم بدا مختلفا وهو يقف وسط (ناو) والصبى البرتغالى .. كان يرتدى قميصا أبيض وسترة جلدية بلاكمين .. ومن جيبه برز كعب المسدس ..

ما إن رأوا (مينارد) حتى وقف الثلاثة وقفة معينة .. الأرجل مفتوحة والأيدى على الردفين ..

حاول أن يركض نحو ابنه لكن السلسلة منعته .. وإذا بـ (بث) تجذب السلسلة كى ترغمه على أن يجثو على ركبتيه فوق الرمال ..

كان الألم على وجه الصبى وهو يرى أباه يتألم أمامه ..

أخيرا قال (مينارد) فى وهن :

- « كيف حالك ؟ »

انحشرت لفظة (بخير) فى حلق الصبى .. لكنه سعلها ..

ضرب (ناو) على كتف الصبى كى يقول ما لقنه له .. فقال هذا :

- « أين باقى طلقات هذا المسدس ؟ »

وأبرز المسدس الـ (بى بى كى) من جيبه ..

- « أنت تعرف .. فى درج المكتب .. »

قال (جوستين) :

- « أعتقد أنه لم يحضر الطلقات معه إلى البحر. »

قال (ناو) وهو ينظر للأسير :

- « حسن .. سيكون هذا آخر حديث منفرد لك مع الصبى .. هلم يا (توبارب) » .. وأشار للمرأة كى ينصرفا ..

وترددت المرأة ثم تركت طرف السلسلة ، ولحقت به ..

جلس (مينارد) أرضا عند قدمى (جوستين) وضرب الأرض داعيا إياه إلى الجلوس جواره .. فلم يبد الصبى على استعداد للطاعة ..

قال (مينارد) :

ـ « إن كل يوم نبقاه حيين معنـاه فرصـة أفضـل .. كل شىء هو أفضل من الموت على كل حـال .. هل عرفت من هم ؟ »

ـ « يتحدثون بطريقة غريبـة .. لا أشـعر بأنهم أمريكان .. »

ـ « ماذا يقولون ؟ »

ـ « يقولون إنهم سيقتلونك .. هل هذا صحيح ؟ »

ـ « صحيح ما لم نرحل قبلها .. هل تكلموا عن قوارب ؟ »

ـ « لا قـوارب بحـارية .. لا توجد سوى قوارب بدائيـة هنا .. وهذه يتم حراستها حتى فى الليل .. إنهم يدربوننى كى أصير رجلا .. »

ودون أن يحاول إخفاء ذلك ، بدا السرور والفخر على وجه الصبى كأنما تسعده فكرة الرجولة المبكرة هذه ..

سأله (مينارد) واللوم فى عينيه :

ـ « هل المسدس محشو ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « إذن أخف طلقتين فى موضـع مـا .. فلربمـا نحتاج إليهما .. هل توجد أسلحة أحدث ؟ »

ـ « (لولوان) لديه بندقية M-16 عتيقة .. إنهم يمقتون الأسلحة الحديثة لأنهم لا يجدون ذخائر لها .. »

هنا نادى (ناو) :

ـ « هلم يا (توبارب) ! حان الوقت .. »

وابتعد الصبى ببطء بينما الأب يرمقه فى أسى ..

لم يشعر بأن (بث) عادت وأمسكت بالسلسلة ، وقالت له :

ـ « لقد رحل .. كلما قبلت هذا أسرع كلما زال الألم أسرع .. »

ثم أردفت وهى تناوله كيسًا مليئًا بسنون خشبية :

ـ « إن لدىّ سنون كتابة لك .. يريدون منك أن تستغل الوقت الباقى كى تكتب عن أمجادنا مثلما فعل (إسكوميلونج) .. »

ـ « وماذا أكتب ؟ أنتم لا تفعلون شيئًا .. »

ـ « ستجد ما تكتبه سريعًا .. فنحن بحاجة إلى (جائزة) بأسرع ما يمكن .. لقد نفد الشراب والموالح .. ونحن نبحث عن صيد سريع ثرى .. »

* * *

انتظر حتى انتظمت أنفاسها ، وراحت تتشاجر مع مخلوق ما فى نومها ..

تحسس السلسة ثم عالج القفل بحذر حتى فتحه ..

الآن صار حرًا .. أعاد غلق القفل ..

تسلل خارجًا من الكوخ .. ونظر للسماء .. كان النسيم الهادئ آتيًا من الشمال لذا اتجه للجنوب .. لم يكن يعرف شيئًا عن المدّ والتيارات لكنه كان يعرف أن عليه الإبحار عكس الريح ..

لن يبحث عن (جوستين) .. فالصبى تحت حراسة محكمة بالتأكيد . ثم إنه لا يريد تعريضه للأخطار التى سيواجهها وحده فى المحيط حيث لن يقابل سوى الأرض أو قارب أو يموت .. إن (جوستين) آمن هنا حتى يعود له أبوه بقوة مسلحة..

(ناو) لن يؤذى الصبي ..

وعلى الشاطئ وجد طوفًا من خشب .. شىء يطفو يمكنه أن يستريح عليه .. دفعه إلى الماء حتى صار الماء عند صدره ثم تسلقه ..

التيار واهن جدًا والريح تحركه ببطء بعيدًا عن الجزيرة ..

كان فخذاه تحت الماء حين شعر بشيء يحرقه هناك ، كاد يصرخ لكنه أبقى فاه مغلقًا .. مد يده يتحسس فخذه لكنه شعر بها تحترق .. لهث ألمًا وانتزع يده .

أخيرًا اصطدم بشيء أملس يسبح على الماء ، منتفخ كبالون . وله زوائد كثيرة ..

هذا قنديل بحر .. !

غريزيًا حاول أن يبتعد ، حاول أن يبعد السياط السامة عن صدره .. كأن شخصًا ما يمزق جلده بسكين ساخن ..

لكن سياطًا أخرى لمست ظهره وتسللت بين فخذيه .. الآن يرى جيشًا من الفقاقيع البيضاء فوق الماء .. صرخ وتلوى وضرب الماء عائدًا ..

وصل إلى الشاطئ فارتمى فوق الرمال ..

شعر بشيء يضربه على صدره ، ويلقيه على ظهره ، وسمع من يصرخ :

ـ « أيها الأحمق ! »

ثم عاد يأمره :

ـ « ابق حيث أنت ! »

كان هناك سائل يتدفق فوقه ، رائحته قوية .. لكنه يزيل الألم .. حاول أن يقول شيئا لكن لسانه كان أثقل من أن يتحرك ..

ثم غابت الأصوات .. كأنه يحلم .. صرخة امرأة ..

جلس وهز رأسه .. نظر جواره فرأى (بث) واقفة ، وكان جسدها مزدانا بتلك البالونات البيضاء .. لقد أنقذته من الماء ، لكن قناديل البحر حاصرتها هى ..

حين رأته أفاق صاحت :

- « هلم يا غبى ! البول ! »

- « ماذا ؟ »

- « بولك ! هذه هى الطريقة الوحيدة لإزالة السم .. لقد فعلت ذات الشىء معك ! »(*)

وعندما فعل راح الألم يزول تدريجيا كأنما هو سحر..

(*) يعرف البحارة أن البول يزيل سم قنديل البحر . وهو أسلوب غير محبب لكنه فعال ..

* * *

اثنا عشر..

فكر فى كل شىء لكن أفكاره كانت تقوده دائمًا إلى اليأس والتفكير فى الانتحار ..

لو استطاع أن يجد قاربًا و (جوستين) وبعض الماء ، فلربما يستطيع تخريب القوارب الأخرى ليحرم الآخرين من استعمالها ، ويفرّ إلى المحيط ..

لكنه رأى سرعة هؤلاء القوم فى إصلاح القوارب القديمة ، ورأى براعتهم الرهيبة فى قراءة حركة الريح وسرعة المدّ ..

سيجدونه فورًا .. وهم لن يعطوه فرصة أخرى .. فلا مجال للفشل ..

لكن فكرة الموت لم تعد تضايقه ، باعتبارها شيئًا لا مفر منه .. وضايقه أنها لم تعد تضايقه .. المشكلة هى أن موته يعتبر نهاية مستقبل (جوستين) الواعد .. سيعيش قرصانًا ويموت مبكرًا بطلقة فى رأسه ..

لو هرب من هنا لتغيرت حياته كلها .. سيدرك جدواها ، وسيعامل كل دقيقة باعتبارها شيئا ثمينا لا يجب أن يمرّ دون استمتاع أو تعلم ..

وكانت آماله - في النهاية - تستقر على أمل خافت فى أن يجده أحدهم .. لكنه كان يقرّ عندئذ أن أحدًا لن يبحث عنه لأن أحدًا لا يهتم بأمره .. هذا لا يدهشه .. سيغتاظ (هيلر) لاختفائه قليلا لا أكثر .. فيما عدا هذا لن يفتقده أحد ..

الأمل الوحيد الآن هو زوجته (ديفون) .. لابد أنها اتصلت بحرس السواحل وأبرقت إلى البيت الأبيض .. لكن محاولاتها لن تؤدى إلى شيء إلا بعد فوات الأوان ..

* * *

فى الليل دوى صوت النفير عميقًا جنائزيًا ..

صحا (منيارد) قلقًا .. ومعه (بث) التى ربطت السلسلة حول عنقه ثم اقتادته للباب سريعًا ..

سألها فى ذعر :

- « ماذا ؟ »

- « صيد ! .. هلم .. »

وركلته حتى لا يسأل المزيد .. وهتفت :

- « إن لى عشر هذا الصيد .. لن أتأخر .. »

وفى الخارج كـان الليل قد أوشك على الانتهـاء ، واستطاع أن يرى ضوء الفجر وراء الأشجار .. الكل يركض نحو الساحة الرملية .

كان (نـاو) واقفًا أمـام كوخـه ، والمسدسان من طراز (فلنت لوك) متقاطعان على صدره ، والذخائر فى حزامه .. وجواره وقف (هيزونر) و (ماتويل) و (جوستين) .. وكـان هنـاك مشعل مغـروس فـى الرمال أمام (ناو) ..

حين احتشد الرجال ، تقدم (هيزونر) إلى الأمام ، وصـب البـارود من قـرن جاموس فى وعـاء على النار .. وصاح :

- « اشـربوا ! .. فلتكن لكل منـكم قـوة عشـرة رجال .. ولتجلبوا لنا المجد » .

هنـا تقـدم الرجـال من الوعـاء وشرب كـل منهـم بيده أو بقدح .. سعلوا وضحكوا وبصقوا .. هنـا أمـر (ناو) الغلامين بالشرب ..

تقـدم (مـاتويـل) وحبس أنفاسـه .. ثم شرب من

السائل الرهيب .. سعل ، ودمعت عيناه .. ولدهشةَ (مينارد) تناول الصبى جرعةً أخرى ..

ثم جاء دور (جوستين) الذى مدَ يده دون تردد ، وشرب .. وراح يبصق على حين ضحك الرجال وهللوا ..

قال (ناو) لـ (بث) :

- « هذه السفينةَ هى إرثك من زوجك .. فلتكن غنيةً ! »

وجرعت المرأة بدورها من الوعاء ، ثم قال (ناو) لـ (مينارد) :

- « والآن يا كاتب .. هل تواجه هذا اليوم دون نار فى أحشائك ؟ »

انحنى (مينارد) على الوعاء .. كتم أنفاسه ثم شرب .. شعر بالنار فى صدره تنحدر إلى معدته .. وكان مذاق السائل كالكبريت ..

هنا صاح (ناو) بصوت أرغم الرجال على الصمت :

- « لدينا أخبار عن صيد ثمين قادم من الجنوب الغربى .. الطاقم دستةً ولابد أنهم مسلحون .. لو كان منكم من يرغب فى الانسحاب فليقل .. »

تعالت أصوات (لا) مع مزيد من الضحكات ، والجرعات من الوعاء الأكبر ..

قال (ناو) :

ـ « توزيع الغنائم سيتم كما هو معتاد .. لكن المرأة ستنال عشر الغنيمة قبل التقسيم .. أما الصبيان فينال كل منهما نصف نصيب .. »

صاح (مينارد) :

ـ « لن تأخذوا ابنى معكم ! »

ابتسم (ناو) وقال :

ـ « بل سنأخذه يا كاتب وكذلك أنت .. يجب أن يتعلم الجراحة .. ويجب أن تكتب أنت ما سيحدث .. سيأتى الصبى معى .. »

ثم صاح بالرجال :

ـ « استعدوا ! لو كان عددنا صغيرًا فقلوبنا كبيرة .. وكلما قل عددنا كلما زاد نصيبنا من الغنائم .. »

وقال (هيزونر) :

ـ « فلتبق أفندتنا صلبة قوية اليوم .. أطلقوا مدافعكم يا شباب وأحيلوها جحيما .. لأن هذا اليوم سيكون كالأيام الخوالى .. »

* * *

كان كل قارب يحمل ستة رجال ، وإن زاد الصبيان و (مينارد) و (بث) على قاربين منها ..

كان (ناو) فى قارب المقدمة .. أما رجله الثانى فكان فى قارب (مينارد) ، وهو شاب يدعونه (جاك الوطواط) ، برد أسنانه لتبدو كالأنياب ..

كان كل رجل يحمل مسدساً وخنجراً وفأساً .. كلهم حماسة لكنهم صامتون .. الشمس ترتفع وراءهم من الشرق ليذوب الذهب على صفحة الماء .

بدأت ترتفع أكثر وشعر (مينارد) أنها تحرق ظهره ..

نحو الجنوب الغربى نظر (هيزونر) وهتف :

– « بحق الجحيم هذا مركب ضخم .. »

نظر (مينارد) جيداً لكنه لم ير شيئاً ..

بعد قليل بدأ يرى نقطة فى الأفق .. تكبر .. وتكبر ..

صاح (ناو) :

– « سفينة ذات شراعين ! يا لها من لعينة جمينة ! »

لكن (مينارد) لم يستطع تبين كل هذه التفاصيل ..

ـ « ستتناولون عشاء حقيقيًا هذه الليلةَ يا شباب!»
استعدوا .. هناك من سيأكلون معنا ومن سيأكلون مع الشيطان .. ولا شىء فى الوسط ! »

وأبحرت القوارب فى دوائر بانتظار وصول السفينة ذات الشراعين ..

الآن يرونها .. طولها مائة قدم على الأقل ..

صاح (ناو) ..

ـ « من سيكون الثعلب ؟ »

قال (هيزونر) :

ـ « أنا .. وأنت الصياد الفقير .. »

وأزاح (ناو) الدفة إلى اليمين منفصلا عن المجموعةَ .. الآن تدنو السفينة أكثر حتى ليتبين (مينارد) اسمها (بريجادير) بحروف مذهبةَ على جانبها ..

وعلى ظهرها وقف رجلان يصرخان ويلوحان طالبين من القوارب الابتعاد.. لكن القوارب لم تبتعد.. ودارت السفينةَ محاولة تفاديهم ..

عندها رأى (مينارد) أحد القراصنة بجواره يصوب بندقيته .. يجذب الزناد.. يطلق طلقة

مدوية .. صوت المعدن .. ثم وهج من النيران والدخان ..

وانتظر الرجل ليتأكد من أن طلقته لم تطش ..

★ ★ ★

وعلى السفينة ابتعدت يدا رجل الدفة عن العجلة ، وبدا كأنما يحاول تثبيت قطعة العظم التى طارت من جمجمته ، ثم هوى للأرض ..

اندفع رجال التجديف فى القوارب نحو السفينة .. ودون كلمة أخرى غرس أول المجدفين مجدافه كالحربون فى دفة السفينة .. انحشر المجداف فتوقفت السفينة عاجزة عن الحركة أو تغيير اتجاهها ..

اندفع الرجال مستعرين حماسة إلى الدفة ، وتسلقوا جدار السفينة كالعناكب ..

ورأى (مينارد) (هيزونر) يتقدم من فوقه .. عيناه تلتمعان .. شعره مشتعل .. خنجر بين أسنانه .. فأس فى يده ، وصاح :

- « مع الموت قد أقمنا عهدًا .. ومع الجحيم قد اتفقنا ! »

دوت صرخات الذعر على السفينة .. وصوت خطوات تجرى ..

هنا صاحت (بث) وهى ترفع تنورتها وتثب إلى الدفة :

- « هلم ! »

- « أنا ؟ »

- « نعم وإلا قتلوك حيث أنت .. »

وثب بدوره - والسلسلة حول عنقه - إلى الدفة .. انزلقت يداه .. لكنه غرس أظفاره فى المسامير .. وتسلق ..

كان ظهر السفينة جحيمًا من رجال يركضون ويصرخون ، وقد تمددت عدة جثث بلا رأس أو بلا أحشاء على الخشب ..

جذبت (بث) (مينارد) منحنية كى تتحاشى الطلقات الطائشة ..

ورأى (مينارد) (ناو) والغلامين قد سبقوه .. كان (جوستين) متصلبًا من الذعر .. فانحنى (ناو) وتكلم إليه .. وإذا بالغلام البرتغالى (مانويل) يمسك بقطعتين من الخشب يربطهما سلك رفيع ، ويتربص بشىء ما ..

ظهرت امرأة تركض على السطح ، تنظر للوراء

وتصرخ ، هنا لم تدر ما حدث حتى وثب الصبى فوق كتفيها ، ولف قطعة السلك وشدها حول عنقها .. لم تستطع الفرار أو الفهم ..

جحظت عيناها وبرز لسانها ، ثم سقطت أرضا ..

رأى (مينارد) شابًا طويل الشعر يتسلق الصارى ، فى محاولة عديمة الجدوى للفرار .. سحب بحار مسدسه ليطلق الرصاص لكن (ناو) ضرب يده ، وركع جوار (جوستين) ليأمره بشىء .. عندما فهم (مينارد) ما سيحدث ..

راقب (جوستين) وهو يرفع يديه بلا براعة حاملا المسدس ، ويصوبه نحو الرجل فوق الصارى .. هنا أمره (ناو) :

ـ « اضغط الزناد ! »

أغمض الصبى عينيه وأطلق الرصاصة .. لكنها لم تصب الرجل .. لكن (ناو) أمره بإعادة المحاولة ، وهذه المرة سمع الجميع صوت الرصاصة تضرب الجسد ..

تلمس الرجل صدره ثم سقط فى الهواء ، بعد ما دار دورتين .. واصطدمت ذقنه أولا بالأرض تلاها جسده ..

ـ « (توباااارب) ! .. (توباااارب) ! »

هلل الرجال فرحاً ، وراحوا يمتدحون (جوستين) الذى احمرّ وجهه وامتلأ فخراً ، وراح يتواثب تعبيراً عن طربه .. راقبه (مينارد) شاعراً بالغثيان .. فهو لم ير الصبى بهذا السرور إلا حين جلب له (بابا نويل) قطة فى الكريسماس ..

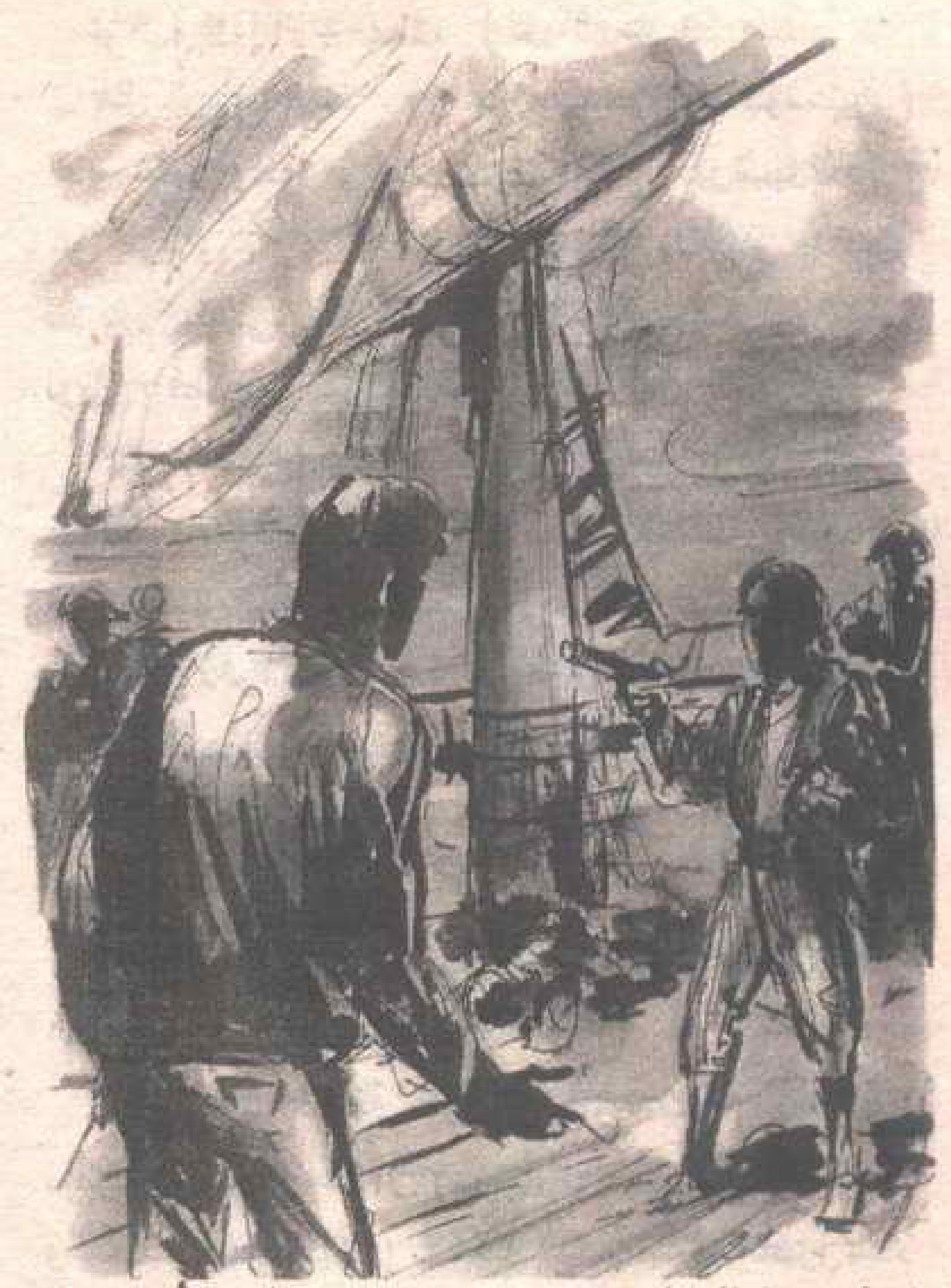
اندفع (مينارد) نحو ابنه ، ودون أن يرفع عينيه إليه مدّ كفه متوقعًا أن يدسّ له الغلام المسدس فيها .. انتظر هنيهةً فلما لم يحدث شىء رفع عينيه ليجد أنه يحدق فى دائرةٍ سوداء مفرغةٍ هى فوهة المسدس ..

كان (جوستين) يصوب المسدس إلى رأس أبيه ..

ركز بؤرة النظر إلى وجه (جوستين) فرأى عليه ابتسامةً مرعبةً ..

كانت عيناه لامعتين وحدقتاه متسعتين .. لقد كان الصبى تحت تأثير مخدر ما ..

دوّى صوت الطلقة عاليًا فأغمض عينيه .. فتحهما ليجد أن فوهةَ المسدس تحركت بوصتين إلى يمينه .. وضحك (جوستين) ضحكة عاليةً كأنها لحن سامّ يفسد الجو ، وابتعد ..



انتظر هنيهة فلما لم يحدث شيء رفع عينيه ليجد أنه يحدق
فى دائرة سوداء مفزعة هى فوهة المسدس . .

تراجع للوراء فاصطدم بجسد الرجل الذى سقط من فوق الصارى ..

راح يعبث فى ثيابه بحثًا عن سلاح ما ، لكنه لم يجد سوى قلادة ذهبيةً تتدلى على صدره .. قلادةً على شكل موسى .. وهى من الطقوس السريةً لتجار الكوكايين ها هنا ..

* * *

ثلاثة عشر ..

بقى خمسةَ أحياء من السفينةَ ذاتَ الشراعين ، منهم امرأة .. اقتادهم رجل يُدعى (باسكو) هو مساعد ثان لـ (ناو) .. كان ملتحيًا شرسًا راح يرمقهم بعينين من نار .

كانوا مذعورين لكنهم لم يكونوا يعرفون تفاصيل كافيةَ لأن يفقدوا الأمل .. وقفوا على سطح السفينة ، على حين راحت (بث) بلهفةَ تتفقد الغنائم ، وامتلأت قوارب القراصنة بمحتوياتَ السفينةَ من سلاح وأطعمة ومشروبات . فقط تخلصوا من الأدوية ومما لم يرق لهم من طعام مثل المعلبات ..

تساءل أحد الأحياء :

- « إلى أين تأخذوننا ؟ »

قال (ناو) فى جديةَ :

- « إلى وطنكم طبعًا .. »

بدت الراحة على الخمسة .. وفكر (مينارد) :

هؤلاء لا يعلمون ! المكان مليء بالجثث ورائحة الموت تزكم الأنوف ، لكنهم ما زالوا لا يعلمون !

سأل (ناو) أحد الخمسة :

- « من قائدكم ؟ »

قال أحدهم :

- « أنا .. »

- « وما حمولتكم ؟ »

- « هي أمامك .. »

- « بل هذه علف ماشية لا حمولة .. »

وأشار برأسه إلى (باسكو) ، الذي مدّ يده بالخنجر إلى يد الفتى ، وبحركة سريعة نظر هذا إلى يديه فوجدهما على ما يُرام . فقط بدلاً من خمسة أصابع بقيت أربعة .. ورأى (مينارد) الدم ينسحب من وجه الفتى.. وصرخ :

- « اللعنة ! »

- « لا تجرب صبري .. »

- « سأنزف حتى الموت .. ! »

وهنا اتجه (باسكو) نحو المرأة ، فصرخت وهي تتراجع :

- « إن الحمولة تحت السطح ! »

- « وما محتواها ؟ »

- « إنها كوكايين ! »

نظر (ناو) إلى (هيزونر) و (باسكو) في عدم فهم .. فتطوع (مينارد) بالتفسير :

- « تعنى مخدرات .. »

- « أى .. أدوية مثلا ؟ »

- « كلا .. إنها أشياء منومة .. أدوية منومة .. »

عاد (ناو) يسألها عن مكان النقود ، فقالت وهى توجه الكلام لـ (مينارد) :

- « ليس لدينا مال .. نحن لم نسلم البضاعة بعد .. »

شعر (مينارد) بالسخف .. فهى تحسبه مترجم هذه الجماعة ، ووَدّ لو يخبرها أنه أسير مثلها وينذرها .. لكن ما جدوى ذلك ؟

صاحت المرأة :

- « يمكننا التفاهم .. إن الكوكايين يساوى ثروة .. »

أدرك (مينارد) أنها أذكى من الآخرين : لقد أدركت قدوم الموت .

ضحك (ناو) وقال :

ـ « حقًا صفقة عادلة ! إن عندى سفينتكم وبضاعتكم وأشخاصكم .. ما الذى تقدمونه لى ولا أملكه ؟ »

حقًا لم تكن هناك إجابة .. وفى عصبية صرخ (جوستين) الصغير :

ـ « فلنفرغ منهم !! »

ـ « حقًا يا (توبارب) .. إن الكلام يضيع الأنفاس .. »

وكان الرجال قد أخرجوا المسحوق الأبيض فى أكياسه من قاع السفينة ، فراح (ناو) يتفحصه فى ارتياب ثم سأل (مينارد) :

ـ « ما هذا الشىء ؟ هل يأكلونه ؟ »

ـ « لا .. يشمونه .. »

وضع بعض المسحوق على نصل الخنجر وتشممه لحظة ، ثم بصق على الأرض :

ـ « إلى القاع ! »

راح الرجال يقذفون بالحمولة فى البحر ، فصرخ أحد الأسرى :

ـ « توقف يا رجل ! .. إن هذا مال وفير ! »

ـ « اخرس ! »

ووقف (هيزونر) أمام الرجال يتلو موعظة مملةً جدًا .. بينما الجريح الذى فقد إصبعه لا يشعر بما يحدث .. أما الرجال الباقون فراحوا يرددون عبارات من نوع « هلم يا رجل » و « كفى مزاحًا .. » .. لكن المرأةَ علمت وصدقت .. صرخت وحاولت الهرب .. أمسكها (باسكو) من شعرها وأعمل المديةَ فى عنقها ..

وفى نفس اللحظة أفرغ (جوستين) رصاص مسدسه فى الجريح ، وكاد يواصلَ العمل لولا أن جذب (ناو) يده :

ـ « لا تضف الإهانة إلى الموت .. ثم إن الرصاص ثمين .. لقد مات .. »

وكان (باسكو) قد فرغ من الآخرين بمديتة ، وبسهولة تامةً ..

راح (مينارد) يرتجف هلعًا وفرقًا .. وصاح وهو يشير إلى (جوستين) :

ـ « لقد صنعتم منه وحشًا ! »

ـ « لقد أجرى الجراحة بنجاح.. فالعمل المفترض عمله يجب أن يُعمل ! ما الخسارة فى فقد هؤلاء ؟ »

ثم أشار إلى (مانويل) وقال آمرًا :

ـ « أغرقها ! »

وابتعدت القوارب بغنائمها على حين رأى (مينارد) السفينةَ تميل إلى جانبها .. تهبط لأسفل بأحد جانبيها تحت تأثير الثقوب التى أحدثها الصبى . وسرعان ما اختفت من فوق الماء تاركةً بعض الفقاقيع لا أكثر، كأنما لم توجد قط ..

وكانت الشمس قد أشرقت حين عادت القوارب إلى الجزيرة ، ورأى (مينارد) رجلا يقف على الشاطئ جوار قارب صغير .. لم يتبين ملامحه فى الظلمة لكنه أدرك أنه يرتدى سترة قطنيةً بيضاء ..

سمع الرجل يهتف :

ـ « أحسنتم يا صاحب الامتياز ! »

هنا أدرك أن هذا هو (وندسور) !!

كانت القوارب قد تم جرها إلى الشاطئ وجرى إفراغ حمولتها .. ولاحظ (وندسور) وجود (جوستين) بين القراصنة ، فهتف :

ـ « يبدو أن معنا شابًا .. هلا أعطيتنا اسمك الجميل يا صبى ؟! »

فقال (ناو) :

ـ « يدعى (توبارب) .. »

ـ « اسم جميل .. كيف كانت المعركة يا شاب ؟ »

ـ « جميلة .. »

قالها (جوستين) فى رضا .. وراح (وندسور) يتفقد الموجودين بعينه ، وهو يقول لـ (ناو) :

ـ « سفينة ثرية .. لقد استنتجت هذا من محادثتهم مع الساحل .. »

ـ « لم يكن بها سوى مخدرات كما يسميها الكاتب .. »

ـ « من ؟ »

والتفت مذهولا ليرى (مينارد) مقيدًا بالسلسلة من عنقه خلف (بث) .. فصاح وقد تذكره وتذكر (جوستين) :

ـ « لماذا لم يمت هذا ؟ »

ثم قال موجهًا كلامه إلى (مينارد) :

- « لقد حاولت إنقاذك لكنك كنت أحمق .. كان يجب أن تموت .. »

قال (ناو) :

- « هذا ما سيكون ، وليس قبل وقت طويل .. إنه يكتب أخبارنا بانتظار إعدامه .. »

- « يجب أن يموت حالاً ! »

★ ★ ★

وفى الوقت ذاته كانت (بث) عاكفة على نقل نصيبها من الغنائم إلى كوخها ، ومن بعيد تعالت أصوات الاحتفال ، والزجاجات التى تتهشم ، والأجساد التى تسقط على الأرض .. كان الرجال (يحتفلون) بنهب السفينة ..

قالت لـ (مينارد) وهو يساعدها فى ترتيب الأشياء فى حجرتها .

- « سيكون علينا أن نلحق بالمجلس هذه الليلة .. »

نظر إليها متوقعًا شرحًا ، لكن كل ما منحته إياه هو ابتسامة حزينة باهتة .. وطلبت منه الخروج معها بعدما فكت السلسلة عن عنقه .

وفى الخارج كان الرجال محتشدين خارج كوخ (ناو) .. وكان الهرج والمرج شديدين ، وقد جلس (ناو) أمام كوخه يرمق الفوضى فى صرامة بعين لا تفوّت شيئا .. لكنه لم يتدخل عالمًا أن مجرد وجوده كاف لإبقاء نوع من النظام ..

فما إن رأى (مينارد) حتى صاح فى جذل :

ـ « آه يا كاتب ! تعال لترى سقوط (روما) ! »

ثم لاحظ أن (مينارد) لا يضع السلسلة ، فقال لـ (بث) :

ـ « أين لجامه ؟ »

دنت (بث) من أذنه ، وهمست بضع كلمات ، فتهلل وجهه وأشار لـ (مينارد) كى يجلس جواره ويشاركه الشراب ..

همس (مينارد) للمرأة :

ـ « ماذا قلت له ؟ »

ـ « قلت إنك جدير بالثقة ! »

هنا رأى (وندسور) خارجًا من أحد الأكواخ يترنح ، ودنا منه فسأله (مينارد) :

ـ « منذ متى أنت هنا ؟ »

قال (وندسور) بلهجة متعثرة :

- « منذ ثلاثين عامًا .. غرق قاربى ووصلت إلى هنا .. »

- « وتركوك تعيش ؟ »

- « لم يقبضوا علىّ قط .. لقد رأيتهم أولاً وكدت أطلب عونهم ، لكنى خبير فى علم (الأنثروبولوجى) ، وفهمت على الفور أنهم لا يرحبون بالزوار وربما يقتلونهم ؛ لهذا ابتعدت سابحًا .. طفوت مستعينًا بجثة خنزير متعفنة منتفخة .. وبعد يومين التهمته أسماك القرش فواصلت السباحة يومًا آخر حتى وجدتنى سفينة ..

« وحين عدت لعالم العمران لم أتكلم قط .. لقد سحرنى هؤلاء القوم .. لم أتصور ما يمكن أن يحدث لو أبلغت السلطات .. عندها سينقرض هؤلاء خلال أسبوع واحد .. إن الحضارة ستحل مشكلتهم بأن تبيدهم .. لهذا عدت لهم ! »

- « وكيف دنوت منهم ؟ »

ابتسم (وندسور) وقال :

- « بحذر .. تعاملت معهم كأننى أتعامل مع قبائل بدائية أكلة لحوم بشر .. أرسلت لهم أشياء يحتاجون إليها كالزجاج والبارود .. ودائمًا كنت أرسل لهم رسائل تطمئنهم وتخبرهم أننى الوحيد الذى يعرف وجودهم .. فى النهاية تم الاتصال فى المحيط .. قارب مسلح ضد قارب مسلح .. وكان لدى ما أعطيه لهم : تحركات السفن جوار جزيرتهم .. »

- « وماذا استفدت منهم ؟ »

- « تعلمت أسلوبهم فى الحياة .. أن تحيا لتحيا .. إن كلًا منا حيوان شرس والحضارة فراؤه .. أما هؤلاء فحيوانات تحيا بلا فراء .. حيوانات على طبيعتها .. »

هنا تقدمت (بث) إلى الساحة .. وقفت فى المنتصف .. ولاحظ (مينارد) أنها استبدلت بثيابها ثيابًا بيضاء نظيفة ، وقد دهنت شعرها بالزيت وكانت يداها خلف ردفيها ، وعيناها مطرقتان إلى الأرض .

تلاشى الصخب .. وصاح (ناو) :

- « إن (جودى) لديها ما تقول .. »

قالت (بث) بصوت متهدج :

ـ « لم أعد (جودى) بعد اليوم .. إننى أحمل طفل (مينارد) ! »

تصاعد التهليل من الحشد ..

هنا فهم (مينارد) سرّ الحزن فى عينى (بث) ، ولماذا قبل (ناو) أن يُترك بلا سلسلة ، ولماذا صار جديرًا بالثقة فجأة ..

لقد كانت (بث) زوجته حتى ترزق بطفل ، عندها تنتهى حياة (مينارد) لهذا سأل (ناو) :

ـ « متى ؟ »

ـ « غدًا .. »

ـ « كيف ؟ »

ـ « سريعًا .. وبالطريقة التى تختارها .. إنها جراحة لا تسلية .. »

ونظرت له (بث) فى شفقة .. لقد صار لها مستقبل باسم فى هذه الجزيرة ، لكن معنى هذا أن من وهبها هذا المستقبل لن يعود له مستقبل !

كان الظلام قد حلّ تدريجيًا ، ورأى (مينارد) الغلامين (جوستين) و (مانويل) يبرزان ليلحقا بالحشد ، وكان (مانويل) يضع قلادة ذهبية عملاقة

حول عنقه .. أما (جوستين) فكان شعره معقوصًا للوراء ، ويرتدى قميصًا أبيض واسعًا ويتصرف بغرور لا شك فيه ..

صاح (ناو) :

ـ « أصغوا إلىّ ! »

انقطعت الأصوات من جديد ليسمعوا ما سيقول :

ـ « كان لدىّ ابن ومات .. سآخذ أحد هذين ابنًا لى .. كنت أفكر فى (ماتويل) لكن دمه هو خليط من دم البرتغاليين والزامبو .. لهذا فكرت فى أن خير من يقود هو هذا .. »

وضرب على كتف (جوستين) .. وترنح قليلا ثم قال :

ـ « سيكون يوم يتصارعان فيه من أجل القيادة .. من سيربح؟ الأفضل.. وهذا هو ما ينبغى أن يكون..»

هنا صاح (هيزونر) مؤيدًا :

ـ « هو جيل يمضى وجيل يأتى .. لكن الأرض خالدة .. »

انتزع (ناو) قلادة ذهبية من جيبه ، ولفها حول

عنق (جوستين) :
- « أحسنت صنعًا وقولاً .. »
وفى قلق نظر (مينارد) إلى (مانويل) ..
فى عينى الصبى البرتغالى رأى نظرة تقول : هذا الغلام (توبارب) لن يصل إلى الزعامة أبدًا !

★ ★ ★

بدأ النعاس يتسرب إلى عيون القوم جميعًا وقد أرهقهم الصخب والسكر .. (ناو) .. (بث) .. (هيزونر) .. لكن (مينارد) لم ينم ..
ظل يفكر فى آلاف الاحتمالات .. يمكنه أن يتسلل إلى حيث القوارب ليسرق واحدًا .. لكن .. هناك خطأ بالتأكيد .. الأمر أسهل مما ينبغى ..
ربما يريدون منه أن يسبح بعيدًا ليغرق .. ربما هى مجاملة أخيرة منهم له .. ربما هم واثقون من أنه لن يرحل دون (جوستين) ..
- ولكن ماذا يمنعه من أخذ (جوستين) الآن ؟
(مانويل) ؟ هل يحسبون أنه لن يجرؤ على قتل (مانويل) ؟ ستكون مفاجأة لطيفة لهم حين يرون ما صنعوه بـ (مينارد) ذى الأخلاق الطيبة .

وجد سروال (جاك الوطواط) معلقًا على غصن شجرةَ ، فبحث فيه حتى وجد خنجرًا ذا حدَين دسه فى حزامه ..

وفى إصرار دخل إلى جوخ (ناو) حيث وجد (جوستين) غافيًا .

ـ « ششششش ! هذا أنا ! »

صاح (جوستين) دون أن يحاول خفض صوته :

ـ « ماذا تفعل هنا ؟ »

ـ « ششششش ! فلنذهب ! »

ـ « ماذا ؟ لو حسبت أن ... »

هنا ظهر ظل فى الباب .. وفى اللحظة التالية رأى (مينارد) الصبى البرتغالى راكعًا على الأرض فوق (جوستين) كاتمًا أنفاسه ..

وصاح البرتغالى :

ـ « هلم ! .. خذه ... »

ـ « ولكن .. هل هو على ما يرام ؟ »

ـ « إنه فاقد الوعى لكن ليس للأبد .. كان سيصرخ .. »

ومزق خرقة ربطها حول فم (جوستين) .. وأمر (مينارد) بحمله ..

مشى (مينارد) وراء الغلام واثقًا به ؛ أولا : لأنه لم يكن يملك خيارًا آخر .. ثانيًا : لأن دوافع البرتغالى واضحة ومبررة جدًا .. كان يتوق إلى الخلاص من المنافسة ..

وصلوا إلى الشاطئ ، حيث أشار البرتغالى إلى قارب كى يضع (جوستين) فيه .. وكان الحارس يرقد قتيلا جوار القارب ..

تساءل (مينارد) مذعورًا :

ـ « هل قتلته ؟ »

قال الصبى البرتغالى :

ـ « بل أنت فعلت .. سرقت القارب .. قتلت الحارس .. خطفت الصبى .. ضربتنى على رأسى .. كل شىء هنا سيتهمونك به بعد فرارك .. »

ـ « هذا عدل .. »

واستعد (مينارد) لركوب القارب .. عندما فتح (جوستين) عينيه ..

ودون كلمة أخرى انتزع الكمامة .. وراح يصرخ كالمجنون :

ـ « إنذار ! إنذار ! إنذار ! »

وفى اللحظة التالية ركل (مينارد) ووثب هاربا من القارب .. هنا استدار (مانويل) بدوره هاربا وهو ينظر لـ (مينارد) فى غل :

ـ « أحمق ! ارحل وحيدا وإلا فرحمة بك اقتل نفسك الآن ! »

ووجد (مينارد) نفسه واقفا وحده جوار الشاطئ فى الظلام .. لم يجد ما يفعله سوى أن يثب إلى القارب ويبتعد عن الجزيرة قدر الإمكان ، مستعملا مجدافين وجدهما جواره ..

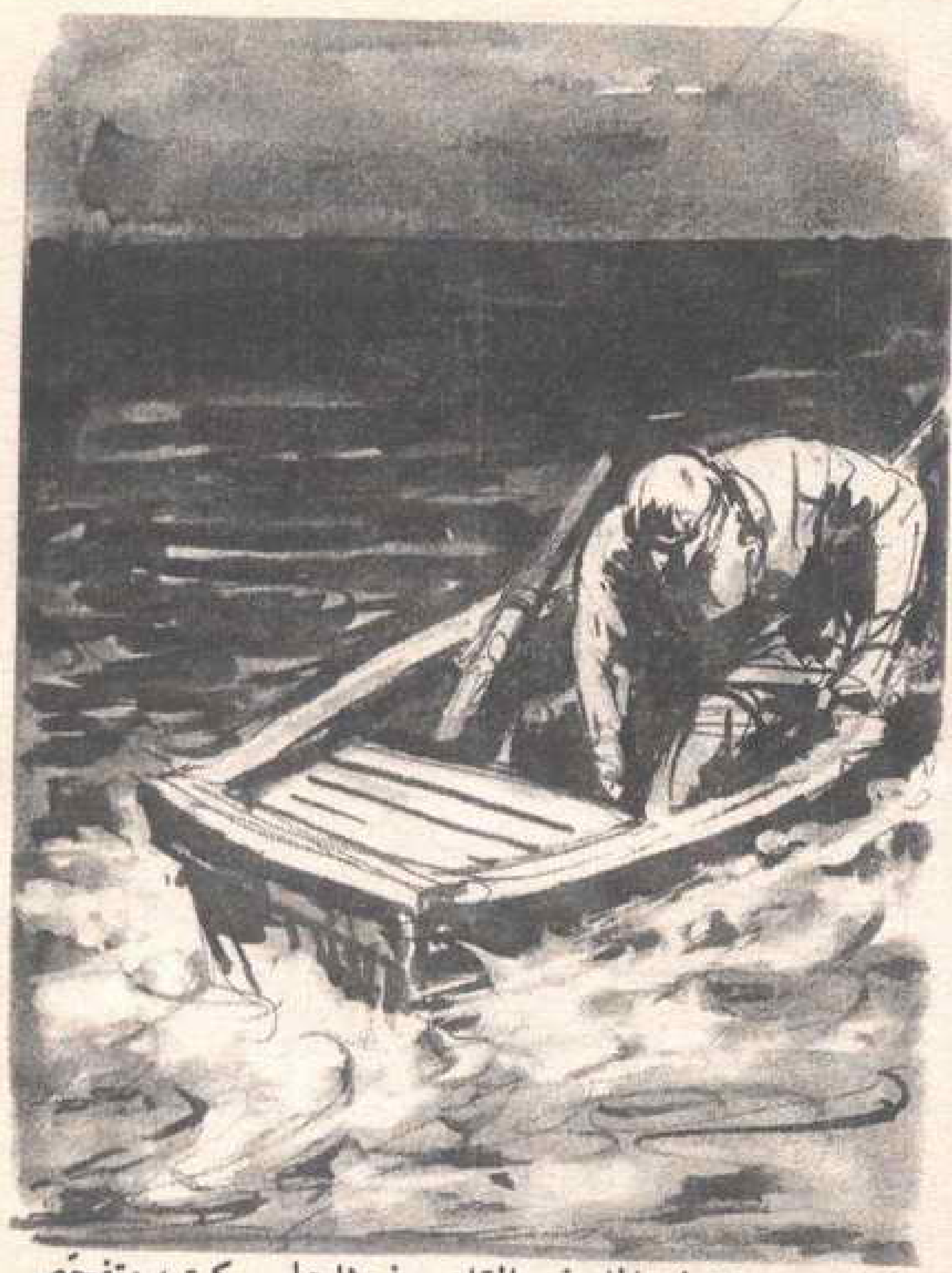
حتى مع صوت التجديف يسمع أصواتا قصية ، ويرى أضواء المشاعل .. لهذا لم يفكر سوى فى التجديف لأعمق وأعمق ..

لكن ـ فجأة ـ بدا له أن القارب توقف فى الماء ..

سمع صوت تدفق الماء فى القاع ، فجثا على ركبتيه وتفحص ما هنالك ..

كان الماء يتسرب من ثقب صغير فى الخشب ..

مد يده وتحسس الثقب بعناية فوجد أنامله لزجة .. تشمم الرائحة فوجدها رائحة (المولاس) .. لقد بدأ يذوب ..



سمع صوت تدفق الماء فى القاع ، فجثا على ركبتيه وتفحص ما هناك .. كان الماء يتسرب من ثقب صغير فى الخشب ..

لقد لعبها (ماتويل) جيدًا .. أحدث ثقوبًا فى الخشب ملأها بالمولاس وكان القارب سيغرق فى المحيط حتى لو لم يفر (جوستين) ..

ونظر (مينارد) للشاطئ .. واضح أنه سيعود لتلكم الجزيرة ..

★ ★ ★

أربعة عشر ..

عاد إلى الشاطئ نصف مدفون فى القاذورات ، بعد ما سبح وقتًا طويلا .. والشمس تختلس النظر من فوق الأفق ..

كان يعرف أن العودة حمق ، لكن ما البديل ؟ عليه أن يصمد هنا ويتوارى ويتحاشى ، حتى يعرف كيف يسرق قاربًا آخر دون عون .

كانت لديه أسئلة بلا نهاية .. وإجابات بلا وجود .

الحشرات تزداد شراسة مع الضوء ، لذا التقط بعض توت من شجرة ومسح به رأسه .. على الأقل سيكون حاجزًا ضد الحشرات ..

كان من مكانه بين الشجيرات يرى (ناو) و (وندسور) والصبيين على الشاطئ .. ينتظرون (جاك الوطواط) العائد بقاربه حاملا قطعة من شراع مهترئ .. شراع القارب الذى غرق ..

سأل (وندسور) :

ـ « ألم تره ؟ »

ـ « نعم .. كان الموضع مظلمًا كذيل خنزير .. »
قال (ناو) :
ـ « إذن هو قد غرق .. »
صاح (وندسور) فى عصبية :
ـ « لا ! .. إنه هنا ! »
ورآه (مينارد) يشير بذراعه نحو الهضبة التى توارى (مينارد) بين شجيراتها .. غريزيًا خفض رأسه كأنما يتحاشى موجات الرادار الخفية الخارجة من رأس (وندسور) .. وهمس من بين أسنانه :
ـ « لا تصدق يا (ناو) .. لماذا أعود ؟ »
هنا قال (ناو) :
ـ « لماذا يعود ؟ إنه ليس مجنونًا أو عاشق ألم .. »
ـ « الأمر سهل .. إن طفله لدينا .. لهذا لن يرحل ! »
قال (ناو) وقد راق له الرأى :
ـ « ليكن يا دكتور .. سنجمع الرجال ونمشط الجزيرة كلها .. لو كان هنا فسوف نجده .. »

وبعد دقيقة سمع (مينارد) صوت البوق يجمع الرجال ..

إن خطته - يعلم الله ما هى - يجب أن تنتظر .. يجب أن يهرب .. يتوارى .. لن يستطيعوا أن يمشطوا الجزيرة كلها ..

سمع الرجال يتجهون للشمال .. فنهض وراح يركض جنوبًا ..

كان بحثهم دقيقًا لا يترك ثغرات .. غطوا الجزيرة كالنيران .. جنبًا إلى جنب يمشون ويفتشون .. سيرهم يحدده أكثرهم بطئًا .. ولو انتظر أحدهم ليرفع صخرة أو يهزّ شجيرة كان الباقون ينتظرون .. لا شىء يمرّ من بين ثقوب الغربال ..

راح (مينارد) يتقدمهم نحو الجنوب .. إن الاندفاع سيحبسه فى مكان ضيق لا مفر منه سوى البحر .. وعندها تحين نهايته ..

صوت (ناو) يتعالى :

- « ابحثوا عن آثار الحفر الطازجة .. ابحثوا عن كومة التراب واغرسوا فيها سيوفكم .. »

وصـل (مينـارد) إلـى مكـان الاحتفـال أمـس ..
وصوتهم يتعالى ويدنو .. وعددهم يزداد كثافـة لأن
الجزيرة تضيق ها هنا ، وبالتالى صاروا متلاصقين ..

أخـذ قصبة مجـوفة وعـزم على أن يغطس فى
البحر ، ويتنفس بها ..

هنا سمع البوق يتردد مرتين ..

إذا بالأصوات تتراجع ، وثمة من يصرخ :

- « سفينة ! جنوب غرب تتجه شمالاً ! »

- « إنها كبيرة ! »

- « إلى القوارب .. »

سمع البحارة يركضون ويصرخون مبتعدين فهدأ
قليلا ..

نظر بحذر إلى الأفق .. إنها سفينة خاصة بحرس
السواحل .. تتحرك بسرعة مما يدل على أنها لا تـرى
شيئا .. إن سرعة السفينة كافيـة لأن تبعدهـا عـن
الشاطئ سريعًا ..

كـان الرجـال يعدون القـوارب ، بينمـا (هـيزونر)
يشجعهم .. ووقف (نـاو) و (وندسور) يتفحصـان
السفينة بتلسكوب نحاسى ..

قال (وندسور) :

ـ « إنها سفينة حربية .. لا تحمل سوى ذخائر لا تستحق المخاطرة .. »

ـ « هذا يستحق .. إنها سفينة جميلة .. »

ـ « لا تورط نفسك فى حرب مع الولايات المتحدة .. »

ـ « لن يشنوا حربًا على أشباح .. »

لكن السفينة كانت تبتعد بحيث لا يمكن اللحاق بها .

إن أمام (مينارد) ثلاث دقائق يتحرك فيها .. يحتاج إلى نار كبيرة ودخان ؛ لأن إحداث أصوات لن يلفت نظر السفينة التى تهدر محركاتها صاخبة ..

يحتاج إلى نار لا تشبه نار المعسكرات ..

التقط زجاجة (روم) وحشر فى عنقها قطعة قماش ، ثم بحث فى الرمال الباقية من حفل أمس حتى وجد فحمًا مشتعلا .. أشعل القماش ، ثم جرى إلى الساحة حيث كانت براميل البارود متراصة .. ألقى بالزجاجة فى أحد البراميل ثم جرى مبتعدًا وهو يدارى رأسه ..

وأخيرًا دفن رأسه فى الرمال .. وسمع صوت ال (وووووش) ثم الـ (فامب) الذى يصمّ الآذان حين التهب البارود ..

★ ★ ★

خمسة عشر ..

هبط القارب البخارى إلى الماء متدليًا بالحبال من (ونش) السفينة .. واتجه سريعًا إلى الجزيرة حاملا طاقمًا من ثلاثة رجال ..

قال أحد الرجال ويدعى (جانتز) ؛ وهو يتفقد الجزيرة :

ـ « المكان هادئ .. لا بد أن الانفجار أودى بالجميع هنا .. »

وفجأة رأوا فوق التل رجلاً ممزق الثياب ، يلوح بذراعه ويحاول أن يقول شيئا .. ثم أنّ وتدحرج إلى الأمام حتى هوى فوق الرمال ..

دنا منه رجل من الثلاثة ويدعى (ماتكوس) ، وتفحصه ..

ـ « يبدو أنه كان دانيا من الانفجار .. لقد تفحم شعر رأسه .. »

- « لا تحركه .. يمكننا أن نحمله على لوح خشب فيما بعد .. »

ومشى الرجال فى ممر وسط الأشجار .. لا شىء سوى صوت الذباب وصوت خطواتهم ..

فجأة - من خلف الأشجار - رأوا حشدًا من رجال مسلحين .

حاول أحدهم أن ينتزع مسدسه ، لكن (ناو) أمره وهو يصوّب مسدسه :

- « لا تفكر حتى فى هذا ! »

- « من أنت ؟ »

- « أنا صائدك .. ! »

ثم أمر الصبيين الواقفين جواره :

- « انزعا ثياب هذا وهذا واربطوهما جيدًا .. »

ثم أمر الرجال وهو يرتدى ثياب أحدهما :

- « أريد كل الرجال ها هنا ليتراصوا فى أرضية القارب كألواح الخشب !

وارتدى (جاك الوطواط) ثياب رجل آخر ..

ربطوا الرجلين ظهرًا لظهر .. وراح القراصنة يمارسون طقوس الهجوم المعروفة لنا الآن .. وطقوس التوجيه المعنوى .

ـ « استعدوا ! لو كان عددنا صغيرا فقلوبنا كبيرة .. وكلما قلّ عددنا كلما زاد نصيبنا من الغنائم .. »

ـ « فلتبق أفئدتنا صلبةً قويةً اليوم .. أطلقوا مدافعكم يا شباب وأحيلوها جحيمًا .. لأن هذا اليوم سيكون كالأيام الخوالى .. »

وهرع الرجال يرصّون أجسادهم فى قاع القارب .. تمددوا بالعرض حتى إذا امتلأت طبقةً غطيت بالملاءات ، ووضعت طبقةً جديدةً .

صاح (وندسور) :

ـ « للمرة الأخيرة يا (لولونوا) لا تفعل ! »

قال (ناو) :

« وللمرة الأخيرة يا دكتور .. اخرس ! »

ـ « ما من حيوان قوى سليم يطلب الانقراض .. »

وبحركة سريعة كالصاعقة انتزع (ناو) سكينه ، وغرسه فى حلق (وندسور) ، وقبل أن يدرك (وندسور) ما حدث كان السكين قد عاد إلى حزام (ناو) ..

رفع (وندسور) يده إلى حلقه ، وحاول أن يقول شيئا ثم جلس على الرمال ..

ـ « اجلس هنا ومت يا دكتور » .

بدا (جوستين) مذهولا ، ولم يستطع إبعاد عينيه عن (وندسور) وهو يموت ببطء .. أدرك (مينارد) أن الصبى مذعور .. لقد رأى ما يكفى من الموت من قبل لكن هذا أول موت لشخص يعرفه .. هذا هو أول موت حقيقى يراه ..

بينما ابتعد (ناو) دون أن ينظر للوراء ..

هتف آمرًا (جانتس) :

ـ « خذ الدفة .. وقدنا إلى السفينة .. لو حركت إصبعًا فثق أننى سأفعل بك ما فعلت بالطبيب .. »

تحرك القارب مبتعدًا فى الماء ..

هنا تسلل (مينارد) إلى أحد القوارب الخشبية ، ودفعه إلى الماء محاولاً اللحاق بالسفينة ..

* * *

وصل القارب البخارى إلى جانب السفينة ..

نظر القبطان لأسفل فرأى (جانتس) وراء الدفة ، وقد ابيض وجهه كوجوه الموتى .. فسأله :

ـ « ماذا هناك ؟ »

لكن (جانتس) لم يجب ..

وبدأ (الونش) يزأر رافعًا القارب لأعلى .. تأمل

القبطان القارب فرأى يدا ذات أساور تبرز من تحت ملاءة ، فهتف :

ـ « ما هذه ؟ هل هناك أجساد؟ »

وسمع (مينارد) الطلقات والصرخات من مكانه فى الماء .. فواصل السباحة نحو السفينة .. لم تكن لديه خطة ما .. لو قتل (ناو) ورجاله فهو قد نجا ، ولو ربح (ناو) فلا فارق لديه بين الموت هنا أو فى الجزيرة .

ربط قاربه إلى جانب السفينة ، ثم راح يتسلق لأعلى ..

لقد توقفت الطلقات فلم تتعد دستة ..

وفجأة سمع صوت (هيزونر) يعظ الناجين ..

هكذا عرف كيف انتهت المعركة ..

* * *

هبط (مينارد) على مقدمة السفينة ، واختلس نظرة على المشهد .. كانت هناك عدة جثث غارقة بالدماء ، وكان القراصنة ينقلون الطعام والذخيرة إلى قاربهم ، بينما (هيزونر) يعظ ستة رجال كأنما يعدهم للإعدام ..

جالت عيناه من حوله .. أين الأسلحة هنا ؟ .. إنه يعرف شيئًا عن هذه السفن الحربية ..

متراليوز !

كان هناك متراليوز على السطح حيث توقع وجوده تمامًا .. نزع الغطاء عنه ، ونظر إلى القارب .. كان كل الرجال هناك وقد أداروا ظهورهم له ، لكن لو التفت أحدهم لتخلف وراءه ..

كان السلاح رهيبًا .. لقد رأى صورًا لهذه الأسلحة عيار ٥ر٥ .. لكنه لم يدنُ قط من أحدها إلى هذا الحدّ كأنه مدفع ..

كان صندوق الذخائر مثبتًا فى المتراليوز ، لكنه لم يجرؤ على تفحصه ليرى ما إذا كان مليئًا ..

حرّك رافعة التعبئة .. ثم رقد على بطنه وضغط الزناد ..

كان كل شىء سريعًا ، ورأى الرجال فى القارب ـ خلال خمس ثوان ـ قد ماتوا أو أوشكوا .. وسط ضجيج الرصاص المروّع ..

ودون أن يرفع إصبعه حوّل الفوهة إلى اليمين .. وواصل القتل ..

انفجر رأس (هيزونر) وصدر (جاك الوطواط) ..

هنا احتضن (ناو) الطفلين ، وتراجع للوراء .. ثم انتزع المسدس من صدر الصبى ووجهه إلى رأسه ..

وجه (مينارد) سلاحه إلى رأس (ناو) وصرخ :

ـ « دعه ! »

ابتسم (ناو) وقال :

ـ « لا .. شكرًا ! »

ـ « سأقتلك .. »

ـ « أعرف .. وستقتل البرتغالى كذلك .. لكن هذا .. »

وأشار إلى رأس (جوستين) :

ـ « لن تفعل ! واجبك أن تفعل لكنك لن تفعل ! »

هذه المرة نظر (مينارد) إلى (جوستين) فرأى غلامًا صغيرًا مذعورًا ..

عاد يسأل (ناو) :

ـ « إذن ما العمل ؟ »

ـ « ستبقى ها هنا وأعود أنا للشاطئ وأفر .. وغدًا تعود أنت للشاطئ بحثًا عن رجلك .. »

ـ « كلامك ليس محل ثقة .. »

ـ « بالفعل .. لكن لا خيار أمامك .. »

وتراجع للوراء وهو يطبق على عنق الصبى .. كان (جوستين) يتوسل إلى أبيه مذعورًا .. يتوسل بعينيه .. وفى صمت ركبوا القارب ..

الآن صار القارب تحت جانب السفينة .. وبعيدًا عن مدى السلاح ، لذا أبعد (ناو) مسدسه عن رأس الغلام ..

رأى (مينارد) المشهد تحت مستوى وقفته .. فلم ينتظر ليفكر .

وثب فى الهواء وهو ينزع سكين (جاك الوطواط) من خصره ..

ونظر (ناو) لأعلى فى اللحظة التى وثب فيها (مينارد) على كتفيه .. تعلق به وراح يطعنه بوحشية وعنف ، بينما (ناو) يسب ويلعن ويحاول إسقاطه من على كتفيه ..

هذه المرة انحشر النصل بين ضلعين من ضلوع (ناو) ، وصعب انتزاعه ..

سقط (ناو) على ظهره .. لكنه بحركة بهلوانية استطاع أن يمتطى (مينارد) .. الدم ينبثق من كل ثقوب صدره وعنقه .. لكنه مد يده ينزع السكين من ضلوعه ، وصاح فى توحش :

ـ « ليس بعد يا كاتب ! »

ورفع السكين فى الهواء ..

جحظت عيناه وتقلصت شفتاه .. بدا كأنه أحد كهنة (الانكا) وهو يقدم قرباناً بشرياً على مذبح ..

صرخ :

ـ « الآن ! »

وإذا به يولج السكين فى أحشائه هو ..

سقط للأمام مضرجاً بدمائه .. وشهق شهقة أخيرة ..

نهض (مينارد) بعسر ..

بحث عن (جوستين) فوجده واقفاً على بضع خطوات .

صاح وهو يمدّ يده :

ـ « هلم يا صبى .. »

امتلأت عينا (جوستين) بالدموع وهو يمد يده لأبيه .

* * *

بيتر بنشلى

١٩٨٠

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

الجزيرة

29

يقول المؤرخون : إن القراصنة انقرضوا فى بداية القرن الثامن عشر .. يقولون : إن (البوكانير) المتوحشين الذين ينزعون عيون ضحاياهم ويلتهمون قلوبهم النابضة ، لم يعد لهم أثر .. يقولون : إن السفن تختفى فى مثلث (برمودا) لأسباب مغناطيسية غامضة .. وفى هذه الرواية نعرف - كالعادة - أن المؤرخين على خطأ ..

الثمن فى مصر ١٥٠ قرش
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
لا تنظر الآن ..!

